

السَّيِّدُ الْحُسَيْنِيُّ



فُوزِي السَّيِّدُ

حَرَكَاتُ بَعْدَ هُضْلِهِ فَا مِ الْحُسَيْنِ

حَرَكََةُ ابْنِ الرُّبَيْدِ ثَوْرَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
حَرَكََةُ التَّوَابِينَ حَرَكََةُ الْمُخْتَارِ الشَّقَفِيِّ

وَلَا تُحِجُّهُ الْيَضَاءُ

حركات بعد
نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

حركات بعد نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)

حركة ابن الزبير، ثورة أهل المدينة،
حركة التوابين، حركة المختار الثقفي.

فوزي آل سيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة



هذا الكتاب الذي بين أيديكم يتناول جانبًا من الآثار المباشرة والقريبة لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) في الأمة الإسلامية، وسيأتي في أول مواضيعه كيف تفاعلت الأمة على المدى القريب والبعيد، بنحو أو آخر مع هذه النهضة المباركة، ولا نقصد بالتفاعل من الأمة أو أثر النهضة أنها استنسخت حركة الإمام الحسين (عليه السلام)، فهناك فوارق كبيرة بين هذه النهضة المقدسة لذاتها ولقائدها وبين سائر النهضات البشرية، ولا يمكن مقارنة أي نهضة أخرى بها «فلا يوم كيومك يا أبا عبد الله».

ولكن كأي حدث ولا سيما إذا كان بحجم الواقعة الحسينية، فإنه يترك تموجات في المحيط الذي يجاوره في الجغرافيا والتاريخ، وقد يتأثر به المخلصون وربما استنفع منه غيرهم!

يتناول هذا الكتاب بالتفصيل الحركات التي حدثت في الأمة بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، فكان من أوائلها حركة عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الذي انسل من المدينة إلى مكة لكيلا يجبر على البيعة ليزيد، ثم ما لبث وبالذات بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) أن أعلن عيب يزيد بن معاوية وانحرافاته الأخلاقية والدينية ولا سيما قتله

للإمام الحسين وأصحابه، وأخذ يجمع الأنصار ويطاول بالوقت، وقد استفاد من موت يزيد بن معاوية وانفلات الأمر من يد الأمويين في إعلان نفسه «خليفة» لينتهي الأمر به إلى مواجهة المختار الثقفي أولاً عن طريق أخيه مصعب بن الزبير، ثم مواجهة عبد الملك بن مروان الذي أرسل له الحجاج الثقفي فتغلب على ابن الزبير واستطاع قتله، ثم عمد إلى صلبه!

وفي هذه السنوات العشر (من ٦٣ هـ إلى ٧٣ هـ) وهي سنة موت ابن الزبير) حصلت واقعة الحرة (٦٣ هـ) وهي المواجهة التي خاضها أهل المدينة مع جيش يزيد بن معاوية الذي قاده مسرف بن عقبة المري، على أثر إعلان رفضهمبيعة يزيد بعد أن نشر الوفد الذي سار إليه ما رأى من انحرافات وتهتك في دمشق، وتجد في هذا الكتاب عرضاً لهذه النهضة ذات الدوافع الدينية الخالصة من قادتها.

وتناول هذا الكتاب أيضاً حركة الشهيد سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه التواقين إلى الشهادة والذين عُرفوا تاريخياً بالتوايين، حيث تحركوا للطلب بثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، يحدوهم شعور بالتقصير تجاه نصرته، مع أنهم كما سيتبين كانوا معذورين - لا سيما القادة - حيث كانوا قبل شهادة الإمام الحسين في سجن ابن زياد أو في حالة اختفاء من المطاردة الأموية، وبعد شهادته بدأوا بالاستعداد لطلب ثأره، والاقتصاص من قتلته، فلما استعدوا وتجهزوا قصدوا إلى الشام حيث رأس الأفعى عبيد الله بن زياد يتحشد لهم، ودارت بين الطرفين (سنة ٦٥ هـ) معركة طاحنة بين طلاب الجنة وطلاب الدنيا والشهوات فوصل كلٌّ من الطرفين إلى هدفه، واستشهد بالإضافة إلى سليمان وقادة جيشه أكثر من كان معه، وقد جاؤوا لذلك! بينما بقي أولئك ﴿فِي غَمَرِهِمْ

حَتَّىٰ حِينَ ﴿مُسْتَمِرِينَ عَلَىٰ هَذِهِ الشَّكْلَةِ﴾ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿١﴾.

وكان موعدهم مع المختار الثقفي ونهضته، حيث تحرك من جديد بعد صبر طويل وسجون متعددة، انتهت بسيطرته على الكوفة، وما حولها، واجتماع شيعة آل أبي طالب خلفه، حتى استطاع أن يرسل جيشاً لمحاربة أنصار الأمويين وأن يفوز بدرجة «مدخل السرور على آل محمد» بقتله عبيد الله بن زياد، ثم تتبع قتلة الحسين (عليه السلام) في الكوفة وغيرها، حتى لم يبق منهم إلا من نفذ بجلده هارباً خائفاً إلى خلافة ابن الزبير الذي أصبح جيشه بقيادة أخيه مصعب مغناطيساً لكل مجرمي الحرب في كربلاء! وكان عندها لا بد من مواجهة بين الثائر بدم الحسين وبين طالب الدنيا بآلة الدين، فكانت المعركة في أطراف الكوفة ووسطها بين المختار وأنصاره الذين اعتبروا أنه قد تحقق ما يهدفون إليه بتبعهم قتلة الحسين (عليه السلام) بالقصاص، وبين آل الزبير الذين لم يكن لديهم مانع أن يقتلوا الآلاف بعدما آمنوهم للاستسلام ثم يجزروهم جزر الذبائح، من أجل الملك والسلطان!

عن هذه الحركات الأربع وما جرى فيها وخلالها يتحدث هذا الكتاب.

أسأل الله أن ينفع القارئ العزيز به. وبه تكتمل فكرة السلسلة الحسينية التي حاولت أن تتناول النهضة الحسينية من خلال بطلها الإمام الحسين (عليه السلام)، وأنصاره أصفاء الله، ومن أكملن نهضته بعد الشهادة من السيدة زينب ونساء كربلاء، وهكذا أعدائه عصبة الإثم، ومن خلال الحديث عن زيارته (عليه السلام) (الناحية ووارث) وما هو مستمر من عطائه

الدائم في الموسم والمنبر الحسيني، ولا أنسى الكتاب الأصل في هذه الكتب؛ قضايا النهضة الحسينية.

كما أسأل الله سبحانه أن يتقبله - مع قلته وقله كاتبه - بقبول حسن، وأن يجعل منه ثواباً وأجرًا لوالدي المرحومين، ولكل من ساهم في هذا الكتاب بنحو من الأنحاء. وأن يرزقنا وإياكم شفاعة الإمام الحسين (عليه السلام) وجده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين بنيه. إنه على كل شيء قدير.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف
تاروت القطيف ١٤٤٦/٦/١٦ هـ.

أثر النهضة الحسينية في الأمة



من خلال قول الله (عز وجل) في مثال الكلمة الطيبة وأنها ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (*) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ يتبين لنا أن للكلمة الطيبة (٢) آثاراً وليس كما يتصور البعض أنها تنتهي بمجرد أن قيلت وانفض المجلس! ثم إن أثرها لا يقتصر على حدود سامعيها ولا زمان الاستماع. وإنما هي تؤتي أكلها وتؤثر آثارها كل حين، وبطبيعة الحال

(١) إبراهيم: ٢٤-٢٥

(٢) قد اختلف المفسرون من الطائفتين في المقصود بالشجرة الطيبة هنا، فبعض قال إنها النخلة، وبعض قال هي كناية عن المؤمن، واختار العلامة الطباطبائي «أن المراد بالمثل هو كلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله حق شهادته. فالقول بالوحدانية والاستقامة عليه هو حق القول الذي له أصل ثابت محفوظ عن كل تغير وزوال وبطلان وهو الله عز اسمه أو أرض الحقائق، وله فروع نشأت ونمت من غير عائق يعوقه عن ذلك من عقائد حقة فرعية وأخلاق زاكية وأعمال صالحة يحيي بها المؤمن حياته الطيبة ويعمر بها العالم الإنساني حق عمارته وهي التي تلائم سير النظام الكوني الذي أدى إلى ظهور الإنسان بوجوده المفطور على الاعتقاد الحق والعمل الصالح. وكذلك كل كلمة حقة وكل عمل صالح مثله هذا المثل، له أصل ثابت وفروع رشيدة وثمرات طيبة مفيدة نافعة.»

لن يكون نفس الأفراد متواجدين معاً في كل حين وزمان وإنما هو تعبير عن أن آثارها تتمدد عبر الزمان، والأماكن والمجتمعات.

هذا حال «كلمة طيبة» فكيف سيكون الحال إذا كان هناك «مجمع الكلم الطيب» وهو ما كان من خطب الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته المباركة، التي ابتدأت برفضه بيعة يزيد بن معاوية في يوم السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٦٠ هـ واستمرت إلى عصر العاشر من شهر محرم سنة ٦١ هـ؟ وكلماته التي تحمل أفكاره وآراءه في الحياة والدين؟

إنه لا شك أن نهضة الحسين (عليه السلام)، بما تخللها من أفعال وأقوال وسيرة، ينطبق عليها ما جاء في المثل القرآني.

وبالرغم من أن هذا الموضوع بأبعاده المختلفة يحتاج إلى دراسة مستقلة، تاريخية وأدبية وفكرية، إلا أننا هنا ستعرض إليه باختصار، ولعل الله سبحانه يقيض من يقوم بهذا الأمر. وسنرتب البحث في نقاط متسلسلة ليسهل تناولها.

١/ من الممكن تقسيم الآثار والنتائج التي حصلت بعد نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى قريبة وأخرى بعيدة وثالثة مستمرة.

فمن الآثار القريبة حصول الحركات والثورات المعارضة للظلم في الأمة في الفترة التي تلت نهضة الإمام مباشرة، فقد وجدنا أربع حركات، تختلف في دوافعها وأسلوب عملها، إلا أن الجامع المشترك بينها هو أنها تولدت من الحالة التي أحدثتها حركة الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته. ونكاد نشبهها بوقوع صخرة عظيمة في ماء راكد حركته وما فيه، وإن كانت دوائر هذه الحركة مختلفة من حيث القوة والضعف

والتأثر المباشر وغير المباشر. أو لنقل هي أشبه بماء نزل من السماء فاهتزت له الأرض، وتغيرت ملامحها، ونبت فيها من كل زوج بهيج، كما نبت أيضا حشائش وأشواك. وكلُّ يعطي بحسب ذاته واستعداداته.

وضمن هذا الإطار فقد جاءت صفحات هذا الكتاب لتؤرخ لأربع حركات حصلت في الأمة الإسلامية، ولا ريب أنها تأثرت بالحالة التي نتجت عن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، أو استفادت منها، وهذه الحركات بحسب التسلسل التاريخي لحدوثها هي: حركة عبد الله بن الزبير بن العوام، وحركة حنظلة بن عبد الله غسيل الملائكة المعروفة بوقعة الحرّة، وحركة سليمان بن صُرْد الخزاعي وما عرف بالتوابين، وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وقد عرضنا لهذه الحركات، وناقشنا بعض ما أثير حولها، وموقفنا من ذلك.

٢/ إن آثار حركة الإمام (عليه السلام) في الأمة لم تقتصر على شيعته «بالمعنى الخاص» وإن كان هؤلاء في الطليعة، وإنما امتدت لغيرهم، ولم تقتصر على زمانه (عليه السلام) بل أثرت في الأزمنة اللاحقة، وفي كل حين وزمان يطلع أهله على حركة الإمام الحسين (عليه السلام)، حتى يومنا الحاضر.

إن عبد الله بن الزبير - كما سيأتي في الصفحات اللاحقة - لا يعد قطعاً من شيعة الإمام الحسين (عليه السلام)، ولكنه انتفع بالموج الذي حركته النهضة الحسينية المباركة، واستفاد من النعمة التي حصلت على يزيدي وبنو أمية لقتلهم الإمام (عليه السلام)، بل إن صور البطولة العارمة، التي أبدأها أبيّ الضيم وتناقلها الرواة مع أنهم في الغالب كانوا من المعسكر الأموي ولكنها لكثرتها من جهة، ولبراعتها من جهة أخرى أخذت

تتموج، فصارت مثلاً لكل حر شريف، وحتى قيل إن مصعباً بن الزبير مع ما سيأتي في شأنه، إنما ثبت أمام الأمويين حين ذكر له موقف الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد نقل ابن سعد في الطبقات أنه عندما انكسر جيشه نادى «عروة بن المغيرة بن شعبة، فقال: يا عروة؟ قال: ليك. قال: ادنُ. فدنا، فسار معه، فقال: أخبرني عن حسين بن علي كيف صنع حين نُزلَ به؟ قال: فأنشأت أحدثه عن صبره وإبائه ما عُرض عليه، وكراهته أن يدخل في طاعة عبيد الله بن زياد حتى قُتل.

قال: فضرب بسوطه على معرفة بردونه، ثم قال:

إِنَّ الْأَكْلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا

قال عروة: فعرفت والله أنه لن يقرّ وأنه سيصبر حتى يقتل. قال: والشعر لسليمان بن قتّة،^(١).

وقد أشار المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه «ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية» إلى عدد من الحركات التي حدثت في العقدين التاليين للنهضة الحسينية، كحركة مطرف بن المغيرة بن شعبة، سنة ٧٧ هـ ضد الحجاج بن يوسف الثقفي وخلعه عبد الملك بن مروان، واعتبر أنها من آثار النهضة الحسينية، وفيها عبير من روح كربلاء^(٢) كما أشار إلى حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨١ هـ ضد الحجاج نفسه، ومعه عبد المؤمن بن شيبث بن ربعي.^(٣)

(١) البغدادي؛ محمد بن سعد: الطبقات الكبير ٦/ ٤٩٨: أقول: ومن أعظم الأمور أن يؤثر الشخص في فكر مخالفه، ويجعله ينتهج منهجه في الإقبال على الموت!

(٢) شمس الدين؛ الشيخ محمد مهدي: ثورة الحسين؛ ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية/ ٢١١.

(٣) المصدر نفسه ٢١٣.

ولسنا الآن في صدد تقييم هذه الحركات وقادتها ومدى صوابيتها أو خطئها، فلذلك محل آخر. إلا أن ما يلفت نظر الباحث أنه يرى أن الجيل الأول من أولاد «من أسس الظلم على الإمام الحسين (عليه السلام)» هم أصبحوا ثائرين على حاكميهم، ودعاة إلى مقاومة ظلمي الأمة!

إن من الطبيعي أن يكون أثر تلك النهضة المباركة للإمام (عليه السلام)، إذا كان قد وصل إلى مثل هؤلاء، أن يكون بالنسبة لسائر المسلمين أكثر وأعظم!

٣/ لم يقتصر الأمر في تأثير النهضة الحسينية في الأمة على الفعل، بل امتد إلى النظرية والفكرة، وأهمية هذا تكون في أن الفعل قد يكون مؤقتاً ومحكوماً بظروفه الزمانية والمكانية، لكن النظرية والفكرة ليست كذلك، فهي تبقى تؤثر وتعطي ثمارها بغض النظر على حدود الزمان والمكان، بل كل حين.

ومسألة النهضة في وجه الظالم، والخروج بالعدل عليه هي من هذه القضايا في الفكر الإسلامي. وكان مذهب مدرسة الخلفاء من المؤكدين على حرمة الخروج على الظالم، بمبررات متعددة أكثرها كانت متأثرة بكون المذهب الرسمي هو الحاكم، فمن الطبيعي أن لا يشرع صحة الخروج على الحاكم! وإلا كان كمن ينقض نفسه، ويطعن قلبه! ولذلك رووا الأحاديث في هذا الشأن،^(١) وبعضها إما لا يصح أصلاً، أو لا يصح تفسيره أو يتعسف في تطبيقه!

(١) الأنصاري؛ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: الخراج لأبي يوسف (ص ٢٠): وقد جمع فيه كل ما ينتهي إلى طاعة الأمير والحاكم ولا غرابة فقد ألفه وهو قاضي قضاة المنصور العباسي.. وأورد فيه من الأحاديث:

«عن أبي ذر: قال: قال رسول الله (ﷺ): «من فارق الجماعة والإسلام شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

قال: وحدثني محمد بن إسحاق بن عبد السلام عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قام رسول الله (ﷺ) بالخيف من منى فقال: «نصر الله امرأة سمع =

وجاءت نهضة الحسين بتلك الصورة الواضحة، ثم شهادته الدامية، لكي تضرب فكرة طاعة الحاكم الظالم في الصميم، وتنقض البناء الذي شُيّد على أساس باطل من لزوم الصبر على ظلمه، وأن ليس للمسلم أن «يفارق الجماعة» مع أن المعلوم هو أن أهل الحق هم الجماعة وإن قلوا.^(١)

= مقالتي فأداها كما سمعها: فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهم قلب مؤمن: إخلاص العمل لله والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائه.

قال: وحدثني غيلان بن قيس الهمداني عن أبي بن مالك قال: أمرنا كبرأؤنا من أصحاب محمد (ﷺ) أن لا نسب أمراءنا، ولا نعشهم، ولا نعصيهم، وأن نتقي الله ونصبر. قال: وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن وائل بن أبي بكر قال: سمعت الحسن البصري يقول: قال رسول الله (ﷺ): «لا تسبوا الولاة؛ فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر؛ وإنما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء؛ فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب، واستقبلوها بالاستكانة والتضرع».

قال: وحدثني الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: انتهيت إلى عبد الله بن عمر، وهو جالس في ظل الكعبة والناس عليه مجتمعون؛ فسمعتة يقول: قال رسول الله (ﷺ): «من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

قال: وحدثني بعض أشياخنا عن مكحول عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ﷺ): «يا معاذ أطع كل أمير، وصل خلف كل إمام، ولا تسب أحدا من أصحابي».

(١) السيوطي؛ جلال الدين: جامع الأحاديث ٣٠/٣٩٣ بترقيم الشاملة آليا: «عن سليم بن قيس العامري قال: سأل ابن الكواء عليا عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة فقال يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب السنة والله سنة محمد (ﷺ) والبدعة ما فارقها والجماعة والله جماعة أهل الحق وإن قلوا والفرقة جماعة أهل الباطل وإن كثروا». والطريف أن هذا الحديث قد نقله الطبراني وغيره عن كتاب سليم بن قيس الكوفي العامري (المشهور عند الشيعة).

ورواه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه في كتابه الأمالي ص ٤١٣ بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام): «قال رسول الله (ﷺ): من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربة =

وبالنسبة لمدرسة أهل البيت (عليه السلام)، فإن نهضة الإمام الحسين جاءت تطبيقاً لما استقرت عليه نظرية هذا المذهب من لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، والإنكار على الظالم^(١) وأن المؤمن كلما علت درجته كانت مسؤوليته في ذلك أكثر كما قال الإمام الحسين «إن رسول الله (ﷺ) قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (ﷺ) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٢) فتكاملت النظرية مع تطبيقها العملي وكان كل منهما دليلاً إلى الآخر وشاهداً عليه.

لكن المشكلة كانت في مدرسة الخلفاء، فإنها بحسب الفرض ترى كما سيأتي أن الحاكم إذا تسلط فلا يجوز القيام عليه حتى لو أظهر الفسق والظلم، كما سيأتي بيان ذلك في كلماتهم عند الحديث عن أزمة النظرية والشخص في حركة ابن الزبير، فإن انعقاد إمامة شخص يكفي فيها بيعة واحد من أهل الحل والعقد كما قالوا، بل حتى لو لم يبايعه أحد ولكنه تغلب وسيطر فهو الذي يكون الإمام وإن كان لا يمتلك من مقومات الإمامة إلا سيطرته على الوضع القائم، فحينئذ لا يجوز الخروج عليه، ومن خرج عليه كان مبطلاً.

هذه النظرية بهذه الحدود جعلت فقهاء هذه المدرسة يتحIRON

= الاسلام من عنقه، قيل: يا رسول الله، وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحق وإن قلوا».

(١) الشيباني؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٣٨ / ٣٣٢: «عن حذيفة بن اليمان أن النبي (ﷺ) قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم».

(٢) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك ٤٠٣ / ٥.

في معالجة نهضة الحسين (عليه السلام)، وهم يؤمنون بأنه سيد شباب أهل الجنة، وسبط رسول الله، وقد نهض في وجه يزيد بن معاوية بصراحة وصرامة، ووصل إلى حد التضحية بنفسه وأهل بيته في سبيل ذلك الإنكار! فماذا يصنعون؟ هل يقفون على النظرية التي صاغوها والتي تقتضي أن يقال إن الإمام الحسين مخطئ وغير مثاب ولا مأجور! لأنه فعل فعلا غير صحيح وهو الخروج على الحاكم.

أو أنهم يخطئون النظرية، فيقولون بأن أساس النظرية غير صحيح وشاهده أن الإمام الحسين خالفه، وخرج هو بنفسه ضد الحاكم الظالم الفاسق. والإمام الحسين هو من هو! فحتى لو لم يعتقدوا بعصمته مثلما يعتقد الشيعة لكنهم يعتقدون بجلالة شأنه وبسيادته على شباب الجنة، وبأنه أفضل من كان موجودا في ذلك الوقت، بعد جيل الصحابة الكبار كما يقولون!

وهنا انقسم أتباع مدرسة الخلفاء إلى أقسام؛ القسم الأول: وهو الاتجاه الرسمي السائد انتهى إلى أن الخروج على الحاكم الظالم حرام، ولكن من بعد عصر الصحابة، وأما قبل ذلك وبخاصة في حادثة خروج الإمام الحسين (عليه السلام) على يزيد، وخروج عبد الله بن الزبير فإنه ليس حراماً. وأما بعد ذلك فقد قالوا إنه قام الإجماع على عدم جوازه وعلى حرمة الخروج. فقد عبر عن ذلك ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج، قال في تعريف البغاة والموقف منهم:

«(مخالفو الإمام) ولو جائرا لحرمة الخروج عليه أي لا مطلقا بل بعد استقرار الأمر المتأخر عن زمن الصحابة والسلف رضي الله عنهم فلا يرد خروج الحسين بن علي وابن الزبير رضي الله عنهما ومعهما كثير

من السلف على يزيد وعبد الملك ودعوى المصنف الإجماع على حرمة الخروج على الجائر إنما أراد الإجماع بعد انقضاء زمن الصحابة واستقرار الأمور أي وحينئذ فلا فرق في الحرمة بين المجتهد الذي له تأويل وغيره»^(١).

والقسم الثاني: وقد نعبّر عنه بالإتجاه الأموي وهو أنه يخطئ كل خروج على الحاكم مهما بلغ جوروه وعدل الخارجين، بزعم إطلاقات الأحاديث المحرمة للخروج، وبالأثار السيئة الناتجة عن الخروج والثورة عليه، وقد نظّر لهذا الموقف كثيرًا ابن تيمية الحراني في الكثير من كتبه، ولم يفرق بين الإمام الحسين (عليه السلام) وبين ابن الزبير أو غيرهما، فقال: «وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير. كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضًا، كالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء»^(٢).

والقسم الثالث: هم الذين رأوا أن فكرة الطاعة للحاكم إنما تكون حينما يكون مطيعًا لله، وأما إذا لم يكن كذلك فلا طاعة له، ودعوى أنه قد يحصل من الخروج فتنة كبيرة، فإنهم يجيبون بما أجاب به الإمام الحسين (عليه السلام) معاوية: بأنه لا يعلم فتنة أضّر على الأمة من ولايته عليها! وبأن الأحاديث التي قيلت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مثل «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ» و«مَنْ خَرَجَ مِنْ

(١) الهيتمي؛ أحمد بن محمد بن حجر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٦٦/٩.

(٢) الحراني؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: منهاج السنة النبوية ٥٢٨/٤.

الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمِيتُهُ جَاهِلِيَّةٌ» فإنها معارضة بما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) «فإني سمعت رسول الله...» فضلا عن ان تلك الأحاديث لا تثبت لزوم طاعة كل أمير أو البقاء مع كل جماعة، وإنما «الجماعة» المقصودة هم جماعة أهل الحق، و«الأمير» المقصود هو إمام العدل. وإلا فليس من المعقول أن يأمر النبي بطاعة الأمير الجائر الذي قد يأمر بمعاصي الله، ويلزم النبي الناس بأن يمتثلوا أمر ذلك الأمير الجائر والظالم، وإلا فهم قد خلعوا عنهم شعار الإسلام.. هذا غير معقول أبداً.

ولو أردنا تطبيق ما يقوله أتباع الاتجاه الثاني خصوصاً على مثل الإمام الحسين (عليه السلام)، فهذا يعني أنه خلع ربة الإسلام.. هذا ومع ذلك يبقى سيد شباب أهل الجنة كما ورد في الحديث عن رسول الله.. هل هذا إلا تناقض!

وهكذا الحال بالنسبة لأتباع مدرسة الخلفاء، فإنهم يجعلون عبد الله بن الزبير، ومن قتل معه في مواجهة بني مروان مثل المسور بن مخرمة، وابن صفوان.. فهل يحكمون عليهم بأنهم قد ماتوا ميتة جاهلية؟ وبأنهم قد خلعوا ربة الإسلام عن أعناقهم؟

بناء على هذا فقد رأى هذا الفريق، وهم الذين مارسوا الخروج والنهضة ضد الحاكمين الظالمين أو أيدهم، وهم فئة ليست بالقليلة في تاريخ المسلمين، رأوا في نهضة الحسين (عليه السلام) وكلماته ما يفند مقالة الفريق الثاني، ولم يقبلوا بتحديد القسم الأول لجواز النهضة والأمر بالمعروف ومقاومة الظالم بفترة الصحابة، وتحريم ذلك فيما بعدها من الأزمنة لأن الأدلة التي شرّعت هذا وجوزته في تلك الفترة ليست عاجزة عن تشريعه في الفترة التي تليها وهكذا!

والأمر كله راجع إلى تأثير حركة الإمام الحسين ونهضته بل وشهادته الدائمة المقدسة في هذا الفريق، والقسم من الأمة.

والعجب من الفريق الأول، وهو من الثاني أعجب أنهم يؤيدون النتائج والنهايات، بينما يعارضون المقدمات، فترى ابن تيمية مثلاً؛ يقبل بحكم وخلافة مروان بن الحكم وابنه عبد الملك، مع أنها بحسب الفرض والواقع هي خروج على الحاكم وهو ابن الزبير، فإن الخليفة الشرعي عند ابن تيمية وهو يزيد مات! ولم يوص لمروان ولا لعبد الملك! كما لم تجتمع الأمة عليهم! وبحسب من يؤيد ابن الزبير فإنه هو صار الخليفة الشرعي وبسط سلطته على أكثر بلاد المسلمين، ولا مقارنة عندهم بين فضله ومروان بن الحكم^(١)، لكن مروان بمعونة ابن زياد وبعض بني أمية استطاع التغلب عليه، وخاض معه حروباً، وهذا من الخروج على الحكم الذي حرّمه ابن تيمية وأتباع هذا الفريق، بل حتى الفريق الأول (الذي ظل في حيرة في شأن ابن الزبير ومروان وأنه أيهما الخليفة الشرعي!).

فكيف رضي هؤلاء بنتيجة « خلافة » بني أمية مع أن مقدماتها كانت الخروج على « خلافة » ابن الزبير؟

ونفس الكلام يأتي عندما يحرم هؤلاء الخروج على المنصور العباسي، لتلك الأدلة، كيف لم يحرموا « خروج » المنصور العباسي وأخيه السفاح ووالدهما على بني أمية ولماذا لم يعتبروا ذلك خلعةً لربقة الإسلام؟ وموتة جاهلية؟

(١) تجده واضحاً في كتاب د. علي محمد الصلابي: خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير..

والنتيجة أن الفريقين الأول والثاني - على وجه الخصوص الثاني - يتناقضون في كلامهم.

وأيضاً فإن الحركات التي قاومت الحكام الظلمة في تاريخ المسلمين، هي من حيث تشعر أو لا تشعر، متأثرة بالنهضة الحسينية والنموذج الحسيني، وإلا فإنه ينطبق عليها ما أورده القسمان السابقان من خلع ربقة الإسلام، والموتة الجاهلية.

وإن كل الثورات التي حصلت في تاريخ المسلمين من قبل أشخاص يتمون مذهبياً إلى مدرسة الخلفاء لا طريق لهم «لشرعة» بداية ثوراتهم إلا النموذج الحسيني المبارك. حتى لو كانت نتائج أعمالهم ضده.

ولعل كلام المرحوم شمس الدين في كتابه ثورة الحسين؛ ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، حيث أورد عناوين تلك الثورات والتي لم تكن تصنف على مدرسة أهل البيت بل على مدرسة الخلفاء، لعل كلامه في الاستشهاد بها ناظر إلى هذا المعنى.

٤/ إن آثار هذه النهضة المباركة؛ تنقسم إلى ما هو قريب من حيث الزمان، كالذي تعرضنا له في هذا الكتاب، وبعيد وهو ما ذكرنا في النقطة السابقة، ومستمر وهو تلك الآثار المصاحبة لتجدد ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) في كل موسم حسيني يبدأ في كل بداية لسنة هجرية من الأول إلى العاشر من محرم حيث تنقلب الدنيا في تلك الأيام في المجتمعات الشيعية إلى فم واحد ينادي يا حسين! وإلى لسان واحد لا يلهج إلا بذكره شعراً ونثراً، فترى هذا الموسم يحرك عشرات الملايين في مختلف أنحاء العالم، وبحق فإنه كما ورد في الزيارة الشعبانية له «أشهد أنك قتلت ولم تمت بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك

وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك وأشهد أنك نور الله الذي لم يطفأ ولا يطفأ أبداً وأنك وجه الذي لم يهلك ولا يهلك أبداً»^(١).

وحيث أننا ذكرنا تفاصيل هذا التأثير في المشاعر والثقافة والأخلاق بل في تحول غير المؤمنين بمنهج أهل البيت (عليهم السلام) إلى هذا المنهج المبارك في كتابنا من هذا السلسلة الحسينية «قضايا الموسم والمنبر الحسيني» فإننا نحيل القراء الكرام إلى ذلك الكتاب

(١) البلد الأمين والدرع الحصين، الشيخ إبراهيم الكفعمي، ص ٢٨٤

حركة عبد الله بن الزبير بن العوام



لما مات معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠ هـ واستلم الحكم ابنه يزيد بن معاوية أرسل لوالي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من عامة الناس «وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا»^(١).

وقد تقدم في كتابنا: أنا الحسين بن علي، تفاصيل ما دار بين الإمام الحسين (عليه السلام) وبين والي المدينة الوليد بن عتبة، والذي انتهى إلى أن خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة يريد الإصلاح في أمة جده آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ثم من مكة إلى كربلاء حيث استشهد في سبيل إحياء الدين هو وأهل بيته وأنصاره بما تم بيانه هناك.

وأما عبد الله بن الزبير بن العوام، وهو الشخص الثاني الذي طلب منه البيعة، فلم يأت إلى الوليد بن عتبة وإنما كمن في داره «وخرج

(١) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري ٣٣٨/٥.

ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع^(١) هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجه نحو مكة^(٢).

ولم يعلن المعارضة ليزيد، لا سيما وقد كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق^(٣)، وهو المعروف بقسوته وشدته، وإنما دخلها ابن الزبير وهو يقول: «إنما أنا عائد، ولم يكن يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، كان يقف هو وأصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده، ويصلي بهم وحده»^(٤).

عندما جاء الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة كان أثقل شيء على ابن الزبير هو وجود الحسين (عليه السلام) فيها، فإنه لن يعدل أحد ابن الزبير بالحسين، فكان يتمنى خروجه وعندما اضطر الإمام للخروج من مكة لكيلا تهتك حرمتها كان أكثر الناس فرحاً بذلك هو ابن الزبير!^(٥)

(١) الحموي؛ ياقوت: معجم البلدان ٤/ ٢٥٢: والفرع: قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرْد على طريق مكة، وقيل أربع ليال.

(٢) المصدر نفسه ٣٤١.

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص الأموي؛ كان والي مكة والمدينة ليزيد بن معاوية، منذ خروج الإمام الحسين من المدينة، عزل وولي أكثر من مرة، انتهى أمره إلى أن بايع مروان بن الحكم بالخلافة على أن له ولاية العهد بعد ابنه عبد الملك، وانتهاز فرصة خروج عبد الملك في أيامه من دمشق، فاستولى عمرو على دمشق وبايعه. وعاد عبد الملك إلى دمشق وأعطاه الأمان وكما غدر هو بعبد الملك فقد غدر هذا به، وقتله بالسيف سنة ٧٠ هـ.

(٤) الطبري ٥/ ٣٤٣.

(٥) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبير ٦/ ٤٢٨ وقد نقل حوار ابن عباس مع الحسين (عليه السلام): «فقال له الحسين: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي أن تُسْتَحَلَّ بي - يعني مكة - قال: فبكى ابن عباس وقال: أقررت عين ابن الزبير فذلك الذي سَلَى بنفسي عنه.»

ومع أن ابن الزبير لم يكن على وفاق مع الطالبين وهو الذي كان منه ما كان في حرب الجمل، حتى نسب إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) القول «ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد الله فقلبه»^(١).

إلا أنه وعلى طريقة السياسيين الذين يستفيدون من كل فرصة لكي يضربوا خصومهم بها، فقد استغل ابن الزبير مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وهاجم يزيد بن معاوية لقتله إياه.^(٢) وبدأ في الدعوة إلى نفسه سرّاً وشجعه أصحابه^(٣)، فيما كان يزيد بن معاوية يرسل إليه الرسل ليأخذ منه البيعة له!

= ثم خرج عبد الله بن عباس من عنده، وابن الزبير على الباب، فلما رآه قال: يا بن الزبير قد أتى ما أحببت، قرّرت عينك، هذا أبو عبد الله يخرج ويتركك والحجاز.

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيُضِي وَاصْفِرِي
وَنَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي

(١) الشافعي؛ ابن عساكر علي بن الحسن: تاريخ دمشق ٤٠٤ / ١٨. وابن بابويه الصدوق في الخصال، ص ١٥٧ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى أدرك فرخه فنهاء عن رأيه.

(٢) الطبري ٤٧٤ / ٥ «اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، وأخزى قاتل حسين! لعمري لقد كان من خلفهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ ونه عنهم، ولكنه ما حُم نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يدفع أبعد الحسين نظمناً إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً! لا، ولا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد- يعرض بيزيد- فسوف يلقون غياً».

(٣) المصدر نفسه / ٤٧٥: فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر وقد كان يبايع الناس سرا، ويظهر أنه عائذ بالبيت!

وتقدم ابن الزبير خطوة في إعلان رفضه لبيعة يزيد بن معاوية (الذي أقسم أنه لا يبايعه إلا وابن الزبير مغلول في جامعة وقيد)، فمنع الحارث بن خالد المخزومي من الصلاة، وكان موكلًا بها من جهة والي المدينة ومكة عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق.^(١) الأمر الذي جعل يزيد بن معاوية يأمر والي المدينة أن يرسل جيشًا لقتال ابن الزبير في مكة.

وكان عمرو بن الزبير أخو عبد الله أعدى أعدائه، فكُلف بالمهمة تلك، وجاء على رأس جيش إلى مكة لقتال أخيه، وهذا كان يحاول إقناع أخيه عبد الله بن الزبير بأن لا مشكلة في أن يبايع يزيد وإن كان مقيّدًا في جامعة^(٢) وفي المقابل كان عبد الله يخادع أخاه حتى إذا هزم أنصاره، أسره ولم يقبل أن يجيره أحدًا، ثم أقامه أمام الناس وضربه بكل من ضُرب من جهته في المدينة حتى مات تحت السياط!

وفي هذه الأثناء حصل أن عزل يزيد والي الحجاز عمرًا بن سعيد الأشدق لاعتقاده أنه لم يقاوم عبد الله بن الزبير بما ينبغي من الحزم ولم يقض على حركته، وولى بدله الوليد بن عتبة مرة أخرى، والذي كان قد عزله قبلاً! ولأن هذه المناصب لا تخضع لقانون سوى مزاج الحاكم، فإن الوليد هذا لم يبق سوى فترة قصيرة، لكي يعزله يزيد من المنصب ويولي عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وقد وصفوه بأنه «فتى غرٌّ حدثٌ غمر لم يجرب الأمور، ولم يحنكه السن، ولم تضرسه التجارب، وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله»^(٣) وهذا بعث إلى يزيد وفدًا من أهل المدينة، ليبدأ بعد ذلك تشكّل نهضة أهل

(١) المصدر نفسه / ٣٤٤.

(٢) ابن منظور الافريقي: لسان العرب ١١ / ٥٠٠: الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَجْمَعُ يَدَ الْأَسِيرِ إِلَى عُنُقِهِ.

(٣) الطبري ٥ / ٤٨٠.

المدينة المعروفة بواقعة الحرة،^(١) وسيتم الحديث عنها، حيث انتهت في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ.

أي أن واقعة الحرة توسطت بين نهضة الإمام الحسين وبين حركة ابن الزبير وسيأتي تفصيل الحديث عنها. فإن يزيد أرسل مسلم المري (مسرف بن عقبة) وقضى على تلك الحركة المدنية. ثم أمره بالتوجه إلى مكة للقضاء على حركة ابن الزبير.

وإذ هلك مسرف بن عقبة غريقاً في آثامه،^(٢) قام مكانه الحصين بن نمير التميمي^(٣) ليصل إلى مكة في محرم سنة ٦٤ هـ، ويفرض عليها الحصار. وكانت الحرب بين الفريقين سجّالاً. إلى ثلاثة أشهر حيث جاءهم في أول شهر ربيع الآخر خبر هلاك يزيد بن معاوية.

ومعه انفرط عقد الجيش الأموي، فيما انتعش ابن الزبير ورأى أن حظوظه في أن يكون خليفة المسلمين قد ارتفعت!

اضطرب الحبل في مسألة الخلافة، وسيأتي في فصل التقييم كيف أن نظرية الخلافة على رأي أهل السنة قد ابتليت بمشكلة عويصة!

(١) لسان العرب ٢٦٩/١١: الْحَرَّةُ أَرْضٌ حِجَارَتُهَا سُودٌ. يَصْعُبُ الْمَشْيُ فِيهَا. أقول: يرى باحثون أن هذه الحرات حول المدينة هي بقايا صخور نتجت عن ثوران براكين في قرون سابقة. والمعركة وقعت في حرة واقم شرق المدينة.

(٢) سيأتي ذكر مقولته كما نقلها الطبري ٤٩٧/٥ إنه لا يتقرب إلى الله بشيء كقتله أهل المدينة فإن آخر كلامه المنقول عنه «اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أحب إلي من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة».

(٣) تحدثنا عن ترجمته وجرائمه في واقعة كربلاء في كتابنا «عصبة الإثم» فليراجع من يريد التفصيل.

فقد كان في الحجاز لابن الزبير راية، ودعوى الخلافة، وكان في الشام ثلاث رايات بادئ النظر؛ فمنهم من يرى أن الخليفة هو معاوية بن يزيد (معاوية الثاني)، ومنهم من يرى أنه مروان بن الحكم، وقد نصب الضحاك بن قيس الفهري نفسه أيضا كذلك. بل لقد طمح عبيد الله بن زياد وهو والي البصرة أن يكون خليفة، ولو على البصرة فقط، فإنها لا تحتاج إلى غيرها كما قال في خطبته! وفي الكوفة فقد خلع أهل الكوفة والي الأمويين منها، وكانت سيطرة المختار بن أبي عبيدة الثقفي هي البديل!

وبدأت التصفيات على طريقة «دوري الكرة» ففيما انتهت تصفيات الشام والأمويين إلى أن يكون مروان بن الحكم^(١) هو شيخ بني أمية وأن تتم البيعة له، فمن قبل بذلك ولو بالعطاءات والولايات، أو بالعود المستقبلية بأن يكون ولي العهد، فهو ومن لم يقبل يقاتل حتى يُقتل! وكان على ابن الزبير أن يقنع سائر بلاد الإسلام بخلافته! فأرسل ولاته إلى المناطق المختلفة، ولكن المراكز الأساسية لم تستقبل بعد خلافته،

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية ٢ - ٦٥ هـ، يقال له «ابن الطريد» لأن طرد النبي أباه الحكم إلى الطائف، حيث كان يسخر من النبي ويتجسس على حجراته، فما زال فيها إلى أيام عثمان رده إلى المدينة، وفوض أمور الخلافة إليه، فنقم عليه المسلمون. وبعد مقتل عثمان خرج مع أهل الجمل ضد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي هذه المعركة وأثناء الهزيمة اغتال طلحة بسهم من بعيد! والتحق بمعاوية ليخوض حرب صفين معه ضد أمير المؤمنين، وبعد شهادة أمير المؤمنين ولاء معاوية المدينة عدة سنوات، إلى أن انتكث الأمر على بني أمية في واقعة الحرة، وبعد موت معاوية ثم موت يزيد دعا إلى نفسه (سنة ٦٤ هـ) وبعد معارك مع المتنافسين على السلطة، واغراءات، صفاه أمر بني أمية، لكن لمدة تسعة أشهر كما قال أمير المؤمنين علي عنه «أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ» وبالفعل فقد اغتالته زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية.

فالكوفة ثائرة على بني أمية وعلى كل من اشترك في قتل الحسين، والمختار الثقفي يترصد قتلة الإمام^(١) واحداً بعد الآخر. وهؤلاء يحاولون الفرار منه إلى أي جهة أخرى؛ الأمويين أو الزبيريين لا فرق! والشام كما قلنا، والبصرة أرسل إليها أخاه مصعباً بن الزبير فسيطر عليها بعد أن هرب منها عبيد الله بن زياد إلى الشام في وقت مبكر خوفاً على نفسه من أهلها، الذين انتفضوا ضده بمجرد معرفتهم بهلاك يزيد بن معاوية.

بسيطرة مصعب بن الزبير على البصرة، وسع نفوذ أخيه، واتجه إلى الكوفة لقتال المختار، وبالتالي السيطرة على العراق بكامله، وتم له ذلك بما ذكرنا في نهضة المختار الثقفي، ومع أنه قتل من أهلها خمسة آلاف صبرا^(٢) من مؤيدي المختار وشيعة أهل البيت كما نقلوا عنه، إلا أنه ضمن العراق لأخيه عبد الله بن الزبير.

بمقتل المختار الثقفي بقي في الساحة الأمويون والذين مات خليفتهم مروان بعد أقل من سنة صعوده للحكم على يد زوجته أم خالد بن يزيد

(١) يراجع كتابنا في هذه السلسلة عصبة الاثم؛ من قتل الإمام الحسين (عليه السلام).

(٢) ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ٧ / ٢٧٥. أتى مصعب بن الزبير عبد الله بن عمر وهو يطوف بين الصفا والمروة فقال: من أنت؟ فقال: ابن أختك مصعب بن الزبير، قال: صاحب العراق؟ قال: نعم! جئتك لأسألك عن قوم خلعوا الطاعة وسفكوا الدماء وحشوا الأموال فقتلوا فغلبوا فدخلوا قصرًا فتحصنوا فيه ثم سألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا؟ قال: وكم العدة؟ قال: خمسة آلاف، قال: فسبح ابن عمر عند ذلك وقال: والله يا بن الزبير! لو أن رجلاً أتى ماشية للزبير فذبح منها في غداة خمسة آلاف أكنت تراه مسروقاً؟ قال: نعم! قال: فتراه إسرافاً في بهائم لا تدري ما الله. وتستحله ممن هلك الله يومًا واحدًا!



بن أبي سفيان سُمًّا أو خنقًا، وجاء بعده ابنه عبد الملك^(١) الذي سيطر على مصر بالإضافة إلى الشام، وفي الطرف الآخر الزيريون، خليفتهم في مكة، وقائدهم مصعب في العراق!

وفي جمادى الآخرة سنة ٧٢ هـ، وقد التقى جيش عبد الملك بن مروان بجيش مصعب بن الزبير في دير الجاثليق قرب سامراء - العراق، وقُتل في هذه المواجهة مصعب، وكان ذلك أول انهيار في سلطة ابن الزبير فقد دخلت البصرة والكوفة (وكان عليهما مصعب) في سلطة عبد الملك بن مروان.

فلم يبق لدى ابن الزبير من الناحية السياسية سوى مكة المكرمة، وقد عزم عبد الملك على استئصاله فأرسل إليه الحجاج بن يوسف الثقفي باقتراح من الحجاج نفسه، وحاصره هذا في مكة، بدءًا من أواخر سنة ٧٢ هـ إلى جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ، بعد أن «تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانًا شديدًا، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف. وذكر أنه كان ممن فارقه وخرج إلى الحجاج ابنائه (ابن الزبير) حمزة وخبيب، فأخذوا منه لأنفسهما أمانًا»^(٢).

هذه صورة الحدث، حركة ابن الزبير من بدايتها حيث رفض أن يبيع يزيد بن معاوية، وانسل سنة ٦٠ هـ متجهًا إلى مكة وبقي فيها كما تقدم إلى سنة ٧٣ هـ حيث قتل على يد جيش عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج الثقفي.

(١) بالرغم من اتفاق مروان مع عمرو بن سعيد الأشدق بل وغيره على أن يكون خليفة بعده!

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٨٨.

موقف مدرسة الخلفاء من حركة ابن الزبير



تكاد مواقف علماء ومؤرخي مدرسة الخلفاء من حركة ابن الزبير أن تكون متطابقة فيما بينهم على اعتبار أن ما جرى منه هو «خلافة مشروعة» وأنه «أمير المؤمنين»، بالإضافة إلى كم كبير من التبجيل تعبر عن ذلك روايات وأحاديث تشير إليه بعنوان العالم والفقيه والعاقد،^(١) بالإضافة إلى جهة النسب لكونه ابن أسماء بنت أبي بكر من جهة ومن أخرى ابن الزبير بن العوام، وخصوصاً مع مقارنته بيزيد بن معاوية.

وسأتي توضيح موقف مدرسة أهل البيت (عليه السلام) تجاه شخص ابن الزبير وتجاه حركته، لكننا سنبدأ في عرض سريع لموقف مدرسة الخلفاء منه، وسوف نستعين بما كتبه د. علي الصلابي حوله فإنه يمثل موقف مدرسة الخلفاء بوضوح.

١/ ويبدأ ذلك من عنوان الكتاب: «خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن

(١) ابن الأثير؛ علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٦٢/٣: «قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال فليلة هو قائم حتى الصباح وليلة هو راکع حتى الصباح وليلة هو ساجد حتى الصباح».

الزبير رضي الله عنه». والرسالة تقرأ من عنوانها، فقد أودع في العنوان ما سيكون في الكتاب، فهي خلافة! وليست تمرّدًا أو خروجًا على إمام المسلمين، وهو أي ابن الزبير أمير للمؤمنين، والترضي عليه واضح.

وأشار إلى أنه قد تحدث فيه عن «اسمه ونسبه وكنيته ونشأته ووصفه وأهم صفاته، وعن مولده ومبايعته للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم... وفقهه وعلمه وعبادته وتقواه، وجرأته وشجاعته، وفصاحته وخطابته وجوده وفندت ما ذكر عن بخله وبينت الفرق بين البخل والحفاظ على مال المسلمين»^(١).

وفي هذا المعنى يقول عن ابن الزبير: «اتهمه بعضهم بالبخل إذ لم يكن مبذراً يعطي عن يمين وعن شمال من لا يستحق، ولم يكن مسرفاً فلا يدفع إلا قدر الحاجة، ولا يُقدّم للمدّاحين والمتزلفين، وهم عادة أصحاب ألسنة حادة ومنها تخرج الشائعات الهادفة، غير أن ابن الزبير لم يكن يُبالي بما يُقال، ما دام أنه على الجادة، وقد انساق كثير من الباحثين وراء روايات الخصوم واتهموا ابن الزبير بالبخل، وهذا الوصف فيه تجنُّ على حقيقة ابن الزبير، وللأسف أن أصحاب الدراسات الحديثة لم يلتفتوا إلى الروايات الأخرى التي تنفي صفة البخل عن ابن الزبير، والذي يظهر أن صفة البخل التي وصف بها ابن الزبير كانت بسبب سياسته المالية المتشددة، ذلك أن ابن الزبير كان يتأسى بالخلفاء الراشدين وينظر إلى ما بيده من مال أنه ليس ملكاً له وإنما هو للمسلمين، ومن ثم لا ينفقه إلا في وجوهه الشرعية»^(٢).

(١) الصلابي؛ علي محمد: خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، المقدمة / ٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢١.

ومن الواضح أن ما سبق هو كلام إنشائي لا توجد شواهد عليه، بل الشواهد على خلافه كثيرة، ولم يقتصر وصفه بذلك على من عاصره وإنما من جاء بعده، ودوّن في الأخبار والأشعار ذلك حتى أن بعضها ذهبت أمثلة.^(١)

وأما تعليله بأن ذلك للحفاظ على بيت مال المسلمين، فما كان هذا ليجتمع مع البخل ومسك اليد، فقد كان رسول الله (ﷺ) وعلياً أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢) أكثر حفاظاً على أموال المسلمين ولم يصفهما أحد بالبخل! وهل يجب أن يكون الشخص إما على طريقة بني أمية من تبذير أموال المسلمين وصرفها في غير حلها، أو على طريقة البخلاء كابن الزبير؟ ألا توجد هناك طريقة متوسطة؟

٢/ كما أشار إلى حديثه عن دوره في معركة اليرموك وفي كتابة المصاحف في عهد عثمان وجهاده في شمال إفريقيا ودفاعه عن عثمان

(١) منها ما نقل عنه «أكلتم تمرى وعصيتم أمري» والتي تحولت إلى قصيدة مشهورة، ومنها ما نقل عنه مثلاً سائراً يستشهد به في كتب اللغة من قوله «إنّ وصاحبها» وقصتها معروفة عندما استعطاه أحد المقاتلين معه ليشتري دابة بعدما نقت دابته، فأخذ يصف له كيف يداويها، فقال: جئتكم مستوصلاً لا مستوصفاً.. إلى آخر القصة. وأنه كسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج، وكلما كسر رمحاً أعطاه، فشق عليه ذلك، وقال: خمسة أرماع! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا. ولمزيد من الاطلاع يجدر مراجعة أنساب الأشراف للبلاذري، وكتاب المعارف وعيون الأخبار للدينوري، والبدء والتاريخ للمقدسي، ونثر الدر للآبي وغيرها، بل قلّ أن يترجم أحد إياه ولا يذكر هذه الصفة.

(٢) ذكروا في أحواله (عليه السلام) أنه كان لا ينام حتى يقسم بيت مال المسلمين بحسب موارده، ثم يكنسه ويصلي فيه ركعتين. وفي نفس الوقت وُصف بأنه لو كان له بيتا تبرّ وتبّن لأنفق تبره (ذهبه) قبل تنه!

يوم الدار وعن موقفه يوم الجمل،^(١) وعن مشاركته في جيش يزيد بن معاوية الذي سار نحو القسطنطينية.

٣/ وتعرض كما قال «لحركة عبد الله بن الزبير في عهد معاوية بن يزيد فبينت كيف تمت البيعة ليزيد، وكيف استطاع بسياسته أن يكسب قلوب أهل الشام، وعن رفض عبد الله بن الزبير البيعة ليزيد، واستقراره بمكة، وأسباب اختياره لمكة وأسباب خروج ابن الزبير ومن معه».

٤/ ثم عن وفاة يزيد بن معاوية، وخلافة معاوية بن يزيد وتنازله عن الحكم وتركه الأمر للشورى، وتحدثت عن بيعه عبد الله بن الزبير بالخلافة وخروج مروان ابن الحكم عليه..

أقول: يفترض أن هذا هو بيت القصيد، فإنه بناء على تنازل معاوية بن يزيد عن الحكم فقد ترك الأمر للشورى، وكأنه يقول بذلك أن الشورى انتخبت ابن الزبير وبايعته بالخلافة، وأن من خالفه وهو مروان بن الحكم خارج عليه..

وقد تحدث عن دوافع ابن الزبير في إعلانه نفسه خليفة، فقال إنه كان: «يهدف من وراء المعارضة أن تعود الأمة إلى حياة الشورى، ويتولى الأمة حينئذ أفضلها، وكان يخشى من تحول الخلافة إلى ملك، وكان يرى رضي الله عنه أنه باستعماله للسيف وتغييره للمنكر بالقوة يتقرب إلى الله، ويضع حدًا لانتقال الخلافة إلى ملك ووراثه، ولهذا لم يدع لنفسه حتى توفي يزيد بن معاوية. وكان ابن الزبير يخطب ويقول: والله لا أريد إلا الإصلاح وإقامة الحق، ولا ألتمس جمع مالٍ ولا ادخاره،

(١) سيأتي شيء من بيان دوره ووظيفته في حرب الجمل، وهي في تفاصيلها تدمه أكثر مما تنفعه.

وكان يقول: اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحجب لقاءي، وجاهدت فيك عدوك فأثبني ثواب المجاهدين وقال عبد الله بن صفوان بن أمية لابن الزبير: إني والله ما قاتلت معك إلا عن ديني... والروايات في هذا المجال كثيرة جداً، وهي تدل على النظرة الحقيقية لمعارضة ابن الزبير، وكذلك أهل المدينة حيث اعتبروها جهاداً في سبيل الله، إن الحسين بن علي وابن الزبير وأهل الحرّة رضي الله عنهم كان خروجهم من أجل الشورى لأسباب مشروعة^(١).

ويقول باحثون: إننا لم نجد في كلمات ابن الزبير وخطبه كلاماً عن الشورى أو أن الأمة تنتخب قائدها، كما لم نجد في الممارسة العملية له شيئاً يفيد هذا المعنى، فهو خرج من المدينة إلى مكة، وبقي فيها وكان في أيام يزيد بن معاوية يطاول الأمر فيقول هو عائذ بالبيت بينما كان أصحابه يجمعون الأنصار ويبايعون له فأين كانت الشورى في هذه الحالة؟ وبعد موت يزيد بن معاوية رأينا ابن الزبير قد أعلن خلافته فوراً، فمتى كانت الشورى؟ هل استشار أهل المدينة في خلافته؟ وهل استشار أصحاب رسول الله في ذلك؟ أو استشار أهل بيت النبي (ﷺ)، وفيهم البارزون حينئذ كالإمام علي بن الحسين السجاد، وبني هاشم كابن عباس ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر.. وغيرهم. وفي الجملة فإن في الشام كانت راية بل رايات! وفي الكوفة إعراض عن آل الزبير وبقي الأمر هكذا إلى أن صارت المواجهة العسكرية مع المختار الثقفي، بل حتى في المدينة عندما نهض الثائرون لمواجهة يزيد في واقعة الحرّة، لم يبايعوا عبد الله بن الزبير ولم يتجهوا إليه؟ وفي البصرة اضطر مصعب بن الزبير إلى

(١) الصلابي: خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ٤٢.

خوض المعارك الطاحنة فيها للسيطرة عليها.. فهل هذه هي الشورى؟
إنه إذا كانت هناك شورى^(١) «معوقة» أبعدت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) وانتجت خلافة الخليفة عثمان بن عفان، فإن ابن الزبير لم يصنع حتى مثل هذه الشورى الصورية!

بل وجدنا عكس ذلك تماماً فإنه لم يقبل تريث بني هاشم في مبايعته فضلاً عن الرفض، وحبسهم في شعب أبي طالب وهددهم بإحراقهم وهم أحياء! لولا نجدة جاءتهم من الكوفة أرسلها المختار الثقفي! حتى وجد بعضهم أن يزيد بن معاوية أفضل له من ابن الزبير!

٥/ بذل المؤلف جهداً كبيراً لإيجاد علاقة تنسيق أو تعاون ثوري بين ابن الزبير وبين الإمام الحسين (عليه السلام)، فقال «حرص ابن الزبير على إشعار الحسين بمكانته وأن وجوده في مكة يحظى بالتأييد من أهلها وبالأخص من ابن الزبير نفسه، ولذا فقد بادره بفكرة جريئة فقال للحسين: إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا فأزرناك وساعدناك ونصحنا لك، وبايعناك، يبدو أن ابن الزبير رغب أن تكون القيادة العامة بيد الحسين نظراً لمكانته ووجاهته، واحترام المسلمين له. ويكون بيده التخطيط لمجابهة يزيد بن معاوية، وبالأخص أنه يملك رصيماً كبيراً من المشاركات الحربية الناجحة في عمليات الجهاد الإسلامي، وكان يرغب في جعل ركيزة الانطلاق في المعارضة هي بلاد الحجاز، وذلك نظراً لصدق أهلها، ووجود العباد والصالحين والعلماء من الصحابة وكبار التابعين بها، ثم وجود الحرمين ومكانتهما، فإذا تمت لهما السيطرة على بلاد الحجاز،

(١) عبر عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله كما في نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام) ص ٤٩ «حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ، جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ»

فإن قضيتهما ستكسب بُعداً كبيراً في الأقاليم الإسلامية، فالناس تؤم الحرمين للعمرة والحج والزيارة، وبالتأكيد سينقلون أخبار المعارضين ومكانتهما، مما سيؤدي إلى تعاطف وتأييد وأنصار من تلك الأقاليم. ولما خرج الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة وقتل يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين بربلاء كان لذلك وقع كبير على ابن الزبير، فالذي يخشاه ابن الزبير - وهو انفراد الأمويين به - قد حدث^(١).

إلا أن المؤلف لم يستطع أن يقدم أي حادثة تاريخية تشير إلى ما ذكره، من أنه «يبدو» أن ابن الزبير رغب أن تكون القيادة العامة بيد الحسين! فإن المؤرخين يكادون يجمعون على أنه لم يكن هناك أثقل على ابن الزبير من وجود الحسين في مكة! هذا فضلاً عن أن علاقة ابن الزبير ببني هاشم كانت سيئة، وسيأتي الحديث عنها في موقف مدرسة أهل البيت من ابن الزبير وحركته. وسبق أن ذكرنا كلام ابن عباس لابن الزبير عندما يتقن ابن عباس أن الحسين (عليه السلام) عازم على الخروج من مكة. وسيأتي ذكر علاقة ابن الزبير ببني هاشم، ومنهم الحسين (عليه السلام).

ولم نجد هذه الكلمات (فوليت هذا فأزرناك وساعدناك ونصحننا لك، وبايعناك) أو ما يشابهها، مع أن المؤلف قد أرجع إليها في أنساب الأشراف، وقد فتشنا الكتاب فما وجدنا فيه هذه الكلمات، ولم يكن ابن الزبير في وضع يحتمل فيه بأن يبايع الحسين (عليه السلام)، وتاريخه مع أبيه معروف وموقفه من عترة النبي كشف عنه تركه الصلاة على النبي (لا على آل فقط) لأجل أن لا يهنأ أهل البيت بانتسابهم لرسول الله! الأمر الذي لا سابقة له ولا لاحقة فيما علمنا في تاريخ المسلمين.

(١) الصلابي: خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ٤٤.

بل لم توجد أي إشارة تفيد بانسجام ابن الزبير مع حركة الإمام الحسين (عليه السلام)، وإنما المصادر تؤكد على استثقاله وجود الحسين في مكة وفرحه بخروج الحسين منها!

٦/ وأخيراً تحدث عن نهاية «أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير» بعد حصاره ومقتله، وعن أسباب سقوط خلافته.^(١)

وبطبيعة الحال سيكون الكتاب بعد هذه المقدمة كتاباً يغلب عليه الطابع التبجيلي، وحتى ما كان يمكن أن يعدّ من مثالب الشخصية المذكورة ستفسر وتؤول بما ينسجم مع هذا الطابع. كما يلحظ في توجيهه لما عرف عن ابن الزبير من قبض يد وشح نفس! وقد مر نقل كلامه.

(١) المصدر نفسه، المقدمة ٦.

موقف مدرسة أهل البيت من الحركة الزبيرية



سوف نتناول في هذه الصفحات، موقف المدرسة الإمامية من ابن الزبير الشخص، ومن ابن الزبير الحركة، ونبين من خلالها أن الأزمة ليست أزمة حركة تاريخية وإنما هي أزمة فكرة ونظرية.. فليست المشكلة في ابن الزبير وحركته فقط وإنما المشكلة في نظرية الإمامة والخلافة في تلك المدرسة والتي كانت ولا تزال.

♦ أما عن عبد الله بن الزبير كشخص:

١/ معاداته لأهل البيت: فمن خلال تجميع هذه المواقف وغيرها، يتبين للباحث أنه كان معادياً بقوة للإمام علي (عليه السلام) خصوصاً ولعموم أهل البيت وبني هاشم عموماً،^(١) وقد أشار لهذه الحقيقة أكثر من مؤرخ وباحث، فقد ذكره ابن أبي الحديد بقوله: «ومن المنحرفين عنه، المبغضين له عبد الله بن الزبير، وقد ذكرناه آنفاً، كان علي (عليه السلام) يقول:

(١) البلاذري؛ أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف ٣/ ٤٨١. «وكتب إلى مصعب بن الزبير أخيه يخبره بأسماء رؤساء أصحاب ابن الحنفية ويأمره أن يسير نساءهم من الكوفة فسير نساء نفر منهم فيهن امرأة طفيل بن عامر بن واثلة، وهي أم سلمة بنت عمرو الكنانية».

ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله، فأفسده. وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب، وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سبباً فاحشاً، يبغي بني هاشم، ويسب علي بن أبي طالب (عليه السلام).^(١)

ولم ينكر ابن الزبير ذلك قولاً وعملاً، فقد نقل عنه أنه خاطب عبد الله بن عباس بقوله: «إني لأكتم بغضكم أهل البيت مذ أربعين سنة». ^(٢)

ويكفي في بيان ذلك أنه استطاع أن «يقلب» أباه عن كونه في خط أهل البيت، في بعض الروايات أو أنه «أفسده» في روايات أخرى.

والحقيقة أنه لم يكن قادراً على كتمان ذلك البغض بل كان معروفاً منه، ولكنه أظهره بشكل كبير بعدما صارت له السيطرة على مكة، إبان فترة الاضطراب بعد هلاك يزيد بن معاوية، وحينها فقد «بقي أربعين جمعة»^(٣) لا يصلي على النبي (ﷺ) في خطبته حتى التاث عليه الناس، فقال: إن له أهل بيت سوء إذا (صليت عليه) أو ذكرته أتلعوا أعناقهم

(١) ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة ٤/ ٧٩.

(٢) الجاحظ؛ عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ ٣/ ١٣.

(٣) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣/ ٧٩؛ ناقلاً عن عمر بن شبة النميري، عن مساور بن السائب، أن ابن الزبير خطب أربعين يوماً لا يصلي على النبي (ﷺ)، وقال: لا يمتنعني أن أصلي عليه إلا أن تشمخ رجالاً بأنافها. أقول: الظاهر أن المقصود هو أربعون يوم جمعة، إذ الخطبة إنما تكون يوم الجمعة لا غير. وكذلك فإنه يستوقف النظر كيف أن كتاب ابن شبة، تاريخ المدينة، المطبوع حالياً لا يوجد فيه الرواية التي نقلها المسعودي؟ ويظهر أن من طبع الكتاب في مراحل متأخرة قد شذبه وحذف منه ما لا يعجبهم! وكم من الكتب القديمة قد تم اللعب فيها وطبعت بالنحو الذي يريده من يطبع الكتاب على نفقته!

واشرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عينهم بذكره»^(١).

ومن ذلك ما صرح به لابن عباس عندما طرده إلى الطائف عن سبب تركه الصلاة على النبي، ولم ينكر ذلك وقال له: «لقد كتمت بغضك وبغض أهل أبيك منذ أربعين سنة. فقال ابن عباس: ذلك والله أبلغ إلى جاعرتيك، بغضي والله ضرك واثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي (ﷺ) في خطبك فإذا عوتبت على ذلك قلت: إن له أهيل سوء، فإذا صليت عليه تطاولت أعناقهم وسمت رؤوسهم»^(٢).

وقبل هذه «كان عبد الله بن الزبير يشتم الإمام علياً (عليه السلام) على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة، فقال: قد أتاكم الوغد اللثيم علي بن أبي طالب»^(٣)!

والعجيب أنه مع كل هذا كان يطلب من بني هاشم المبايعة له، بالرضا أو بالقوة! فقضية حبسه لبني هاشم مشهورة، وأنه لولا نجدة المختار لهم لأحرقهم بالناس كما هدد بذلك! ولم يترك ذلك الأمر طيلة بقاءه على قيد الحياة فقد ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه «لما دخلت سنة تسع وستين أرسل عبد الله بن الزبير عروة بن الزبير إلى محمد بن الحنفية إن أمير المؤمنين يقول لك إنني غير تاركك أبداً حتى تبايعني أو أعيدك في الحبس وقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته وأجمع أهل العراقيين عليّ فبايع! وإلا فهي الحرب بيني وبينك إن امتنعت»^(٤).

(١) الاصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٩٧.

(٢) البلاذري؛ أنساب الأشراف ٣ / ٤٨٢.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١ / ٢٢.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٤ / ٣٤٩.



٢/ يظهر أن وصف الإمام علي (عليه السلام) له، وتحديد شخصيته كان دقيقاً بقوله: «خَبُّ ضَبٍّ»، ينصب حباله الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش^(١). وسنأتي على شرح هذه الكلمة العظيمة من الإمام، والغريب أن معاوية بن أبي سفيان وهو مناوئ لأمر المؤمنين (عليه السلام) وصف ابن الزبير بنفس الوصف وأنه «خب^(٢) ضب^(٣)».

وفي وصف الإمام (عليه السلام) نجد الأمور التالية:

أ/ الخداع والحقْد. ^(٤) وقد سبق في السطور الماضية شيء عن حقه وبغضه المكتوم والظاهر لأهل البيت عامة ولأمر المؤمنين (عليه السلام) خاصة.

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤٨ / ٧.

(٢) العجيب أن التوربشتي في كتابه «الميسر في شرح مصابيح السنة» ٤٤٠ / ٢، نقل حديثاً عن أبي بكر عن «النبي (صلى الله عليه وسلم)» «لا يدخل الجنة خب» الحديث، الخب: الرجل الخداع ومعناه في الحديث الذي يفسد الناس بالخداع، ويمكر ويحتال في الأمر يقال فلان خَبُّ ضَبٍّ إذا كان فاسداً مفسداً مراوفاً فهل ينطبق هذا على ابن الزبير الذي كان يتفاخر دائماً بأن جده هو أبو بكر وهو راوي الحديث؟ وقد وصف ابن الزبير بأنه الخب الضب.

(٣) ذكره الجاحظ في «البيان والتبيين» ٩٠ / ٢: في رسالة معاوية لابنه يزيد «وأما ابن الزبير فإنه خَبُّ ضَبٍّ. وزاد ابن عبد ربه في العقد الفريد» ١٧٥ / ٤ بعد أن أثبت ذلك، قوله «فإن ظفرت بابن الزبير فقطعه إرباً إرباً». وإذا كان معاوية قد عرف شخصية ابن الزبير بهذا المقدار من خلال ملاحظة تصرفاته وأفعاله، فإن الإمام (عليه السلام) تجاوز هذا إلى معرفة مستقبله وصلبه واستخدامه الدين آلة للدنيا.. هذا مع ملاحظتنا التي ذكرناها في موضوع أهل المدينة وواقعة الحرة وأنه تنبأ بأنه سيكون لأهل المدينة يوم فينبغي أن يرميهم يزيد بمسلم بن عقبة المري.

(٤) الجاحظ: الحيوان ٣٣٩ / ٦: بعض الأمثال في خداع الضب فقالت العرب: «خَبُّ ضَبٍّ». وقال ابن قتيبة الدينوري في كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ٦٤٤ / ٢: «خب ضب وأخدع من ضب، فشبه الحقْد الكامن الذي يعسر استلاله بالضب إذا خدع في جحره».

ب/ أن لديه طموحات وأهدافاً دنيوية^(١) كرس حياته كلها لها،^(٢) ولكن لن تتحقق. وذلك لأنه مع مكره وخدعه المختلفة لديه صفات سنأتي على ذكرها تمنعه من تحقيق تلك الأهداف.

ويبدو أن ذلك كان ظاهراً للكثير، فبالإضافة إلى ما ذكرناه صريحاً عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أن ابن الزبير قد نصب الدين مصيدة للدنيا، فقد أعلن ذلك عبد الله بن عمر لزوجته صفية التي حاولت فيه أن يبايع ابن الزبير، فقد «روى أبو الفرج قال: كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها، فذكر لها إن خروجه كان غضباً لله (عز وجل) ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وللمهاجرين والأنصار من أثره معاوية وابنه الفيء، وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبايعه، فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير وعبادته واجتهاده، وأثنت عليه، وقالت: إنه ليدعو إلى طاعة الله (عز وجل)، وأكثرت القول في ذلك، فقال لها: ويحك! أما رأيت البغلات الشهب التي كان يحج معاوية عليها، وتقدم إلينا من الشام، قالت: بلى! قال: والله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن!». ^(٣)

(١) ويبدو أن ذلك كان ظاهراً للكثير، فبالإضافة إلى ما ذكرناه صريحاً عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أن ابن الزبير قد نصب الدين مصيدة للدنيا، فقد أعلن ذلك عبد الله بن عمر لزوجته صفية التي حاولت فيه أن يبايع ابن الزبير بعد أن أوصل إليها ابن الزبير ذلك وأنه ما يريد بعبادته غير البغلات الشهب وهي في هذه الأيام تعادل سيارات المرسيدس الرئاسية!

(٢) وقد أشار محمد ماهر حمادة في كتابه الوثائق السياسية للجزيرة العربية ص ١٨ الذي رأى أن مزيجاً من الطموح الشخصي والصراع القبلي هو الذي حركه. وقد نقل عنه ذلك نافيا إياه، د. الصلابي في كتابه عن ابن الزبير.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٤٩ / ٢٠.



ج/ أن وسيلته لتحقيق تلك الطموحات الدنيوية هي الدين، فهو يستعمل الدين حيلة لأجل الدنيا، ومصيدة لها فظاهره (من التدين وكونه العائد بالبيت وحليف القرآن وصاحب الركعات) إنما هو من أجل استغفال الناس، واصطياد الدنيا!

فأنت تراه في معركة الجمل أخرج خالته عائشة زوجة النبي (ﷺ) بإلحاحه عليها وغلبته على رأيها،^(١) بل وكذب عليها لكيلا ترجع، وأقام شهود الزور،^(٢) الذين شهدوا كذباً بأن ذلك الماء الذي نبحت عليها كلابه، ليس ماء الحوآب! وأقحمها في معركة ذهبت فيها الأرواح.. وكل ذلك من أمور الدين من أجل الدنيا والانتصار على خصمه.

وكان يمارس وصايته وولايته على عائشة زوجة النبي حتى في الحالات العادية،^(٣) كأنه حاكم أو زوج أو صاحب ولاية!! فقد ذكروا

(١) ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٩١٠/٣: «روى إسماعيل بن عليّة، عن أبي سفيان بن العلاء، عن ابن أبي عتيق، قال قالت عائشة: إذا مرّ ابن عمر فأرونيّه، فلمّا مرّ ابن عمر قالوا: هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك، وظننت أنّك لا تخالفينه - يعني ابن الزبير».

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢٤/٣: «وسمعت عائشة في طريقها نباح كلاب فقالت: ما يقال لهذا الماء الذي نحن به؟ قالوا: الحوآب. فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! ردّوني ردّوني! فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول وعنده نساؤه: «أيتكنّ ينبحها كلاب الحوآب» وعزمت على الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فقال: كذب من زعم أن هذا الماء الحوآب، وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبد الله! وقد ذكرت الحادثة بتفصيل أو إجمال في كثير من الكتب الحديثية والتاريخية كمصنف ابن أبي شيبة، ومسند أحمد، والمستدرک، وتاريخ الطبري.. وغيرها.

(٣) الصنعاني؛ عبد الرزاق: المصنف ٤٤٤/٨: «عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأُمّها - أن عائشة حدثته أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت عائشة: أو قال =

أنه هدها بأن يحجر عليها ويمنعها من أي تصرف!!

وبينما تراه يعلن عن نفسه بأنه «العائد بالبيت» أي هو لاجئ لا يريد إلا سلامة نفسه ويحتمي بالكعبة المشرفة! ولا طموح سياسي له.. هذا في الظاهر بينما كان في الخفاء تتم البيعة له ويرسل هنا وهناك لأجل هذا الأمر! وفيما بعد يعزل الحارث بن خالد المخزومي عن الصلاة (المعيّن من جهة الدولة الأموية).. فأين العائد بالبيت وأين هذه الحركات؟

وحين «تحصّن سعد مولى عتبة بن أبي سفيان بالطائف في خمسين رجلاً استنزلهم ابن الزبير وضرب أعناقهم في الحرم، فقال ابن عمر: يا سبحان الله ما أحقق هذا الرجل، أما أنّه لم يقتل أحدًا أحدًا بالحرم إلّا قتل به؛ وقال ابن عبّاس: لو لقيت قاتل أبي بالحرم ما قتلته»^(١) فأين ما رفعه من شعار أنه العائد بالحرم؟ بل إنه الغدر والخداع مقترنا بالحق وكما قال الإمام (عليه السلام) وغيره فيه: «خَبُّ ضَبُّ».

بل إنه يصلي خلف أخيه عروة بن الزبير لما أرسله يزيد لقتاله، ويتحدث معه على أساس المصالحة وأنه هل يبايع يزيد أو لا؟ بينما في نفس الوقت ينفذ قسما من أنصاره لقتال جيش عروة، ويعتقل عروة أخاه ثم يقيمه لكي يضرب بالسياط حتى يموت! ونحن هنا لا نريد تزكية أخيه ولا أفعال بني أمية.. ولكن نقول: إن ابن الزبير كان كاذبًا في ادعائه أنه لاجئ للبيت وعائد به، وأنه صاحب الصلاة والصيام.. وإنما

= هذا؟ قالوا: نعم، فقالت عائشة: هو علي لله نذر أن لا أكلم ابن الزبير بكلمة أبدا... إلى آخر الحديث.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٥. ونقله الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة بالتفصيل في كتابه أحكام القرآن.

كل هذه كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هي مصائد دينية لمصالح دنيوية!

إن العمل الذي قام به الحجاج الثقفي من قصفه الكعبة بالمنجنيق ليسيّط على مكة واضح الإجرام! واتخاذ ابن الزبير الكعبة درعاً لنجاته ولو أدى ذلك لهدمها لا يقل عن فعل الحجاج، بفارق أن شعار الحجاج الثقفي واضح، وشعار ابن الزبير ملتبس على الناس.

د/ أنه سيكون مصلوب قريش! وهذه من أنباء المستقبل التي أخبر عنها أمير المؤمنين قبل ما لا يقل عن ٣٥ سنة من مقتل ابن الزبير وصلبه في مكة! وهي من جملة إنبيائه الكثيرة وإخباراته عما سيحدث مما علمه رسول الله (ﷺ). وهذا بحد ذاته كفيل بأن يهدي من كان له قلب إلى أن منهج علي (عليه السلام) هو المنهج الإلهي المحمدي دون سواه. فإذا كان صلب ابن الزبير في سنة ٧٣ هـ، وشهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) في سنة ٤٠ هـ فهناك فاصلة زمنية ثلث قرن من الزمان! وقد صدق إخباره عنه.

ولعل هذا يتوافق ما سبق الإخبار عنه عن رسول الله (ﷺ) من طرق مدرسة الخلفاء عن أن شخصاً اسمه عبد الله من قريش يلحد في مكة وأن عليه عذاب نصف العالم!^(١)

(١) الشيباني؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٣٦٣/١: «عن عثمان بن عفان، قال: قال له عبد الله بن الزبير حين حصر: إن عندي نجائب قد أعددتها لك، فهل لك أن تحول إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك؟ قال: لا، إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله، عليه مثل نصف أوزار الناس».

وينقل بطريق آخر عن عبد الله بن عمر كما جاء في تاريخ الإسلام ٨٣٧/٢: «عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يلحد بمكة رجل من قريش =

بالإضافة إلى ما سبق، فقد كان له من الصفات السيئة ما يجعل الخلافة كبيرة على مقاسه، وأنها جبة يضيع فيها. فلم يكن صاحب تدبير أو إدارة حتى بالمقاييس الدنيوية!

فمن ذلك: ما اشتهر عنه من بخله الشديد، على القريب والبعيد! سواء كان ذلك من ماله أو من بيت المال! فقد قال الذهبي وهو ممن لا يتهم في ابن الزبير لأنه يراه خليفة وأميراً للمؤمنين، ومع ذلك قال «وكان في ابن الزبير بخل ظاهر، مع ما أوتي من الشجاعة». ^(١) وأنه بعدما سيطر أخوه مصعب على البصرة، وكان يعطي أهلها كما يصنع الأمراء من العطاء عزله عنها، وولى عليها ولده حمزة بن الزبير، مع أنه كان شاباً تائهاً كما يقول صاحب الطبقات، فجمع المال ومنع أهل البصرة من العطاء «وأمر بالمال يحمل إلى ابن الزبير فمنعه من ذلك مالك بن مسمع ووجوه أهل البصرة ونخسوا به، فخرج من البصرة، فبلغ ذلك ابن الزبير، فولى مصعب البصرة وأمره أن يتوجه إلى العراق». ^(٢)

وكان بخيلاً على هذا المستوى العام بحيث يمنع العطاء عن أهل بلد المفروض أنه بايعه وسلم الأمر له، وعلى المستوى الخاص بحيث من كان يستعطيه في مساعدة بسيطة كان يأبى عليه! فقد أتاه «فضالة بن شريك الأسدي فقال له: إنني جشمت إليك سفراً بعيداً، أتعبت فيه نفسي وأنفدت نفقتي، وأنقبت فيه راحلتي، فقال ارقعها بسبت،

= يقال له عبد الله، عليه نصف عذاب العالم، فوالله لا أكونه، فتحول منها، فسكن الطائف».

(١) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ٨٣٦/٢. ولذلك نقول أن ما ذكره د. الصلابي من أنه لم يكن بخيلاً، بل كان محافظاً على أموال المسلمين، هو من تغطية الشمس بغربال.

(٢) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبير ٤٩٦/٦.



واخصفها بهلب، وأنجد بها العصرين يبرد خفّها، فقال: إنما أتيتك مستحملاً ولم آتك مستوصفاً! لعن الله ناقة حملتني إليك. فقال ابن الزبير: إن وراكبها، وانصرف ولم يصله^(١) وابن الزبير هو الذي قال: أكلتم تمرى وعصيتم أمري! فقال فيه الشاعر:

رأيت أبا بكر وربك غالب على أمره، يبغي الخلافة بالتمر وأقبل إليه أعرابي فقال: أعطني وأقاتل عنك أهل الشام. قال له: اذهب فقاتل، فإن أغيت أعطيناك! قال: أراك تجعل روحي نقداً ودراهمك نسيئة!^(٢)

♦ ومن ذلك سوء إدارته السياسية للمعركة:

وشاهد ذلك أنه بدأ باستعداد المسلمين عموماً وأهل البيت خصوصاً في ترك الصلاة على النبي محمد (ﷺ)! حتى الصلاة البتراء، وهو أمر لم يصنعه أشد أعداء آل النبي نصباً في تاريخ المسلمين!

فهل تتصور أحداً بجوار الكعبة المشرفة التي لولا هدايات رسول الله (ﷺ)، وقتال أمير المؤمنين (عليه السلام) وبقية أهل بيته^(٣) ثم المخلصين من المسلمين، لكانت لا تزال الأصنام القرشية معلقة فيها، ويأتي ابن الزبير هذا وهو المسيطر عليها بعد موت يزيد بن معاوية، فيمتنع قرابة سنة كاملة (٤٠ جمعة) من ذكر النبي والصلاة عليه!

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٨ / ٢٨٥، وكذلك ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار ٣ / ١٥٨.

(٢) الاندلسي؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ٧ / ١٩٧.

(٣) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع) ص ٣٦٩: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا أَحْمَرَ النَّاسُ -

وَأَحْجَمَ النَّاسُ - قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ - فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ».

إن هذا الأمر هو مخالفة واضحة للقرآن الكريم الذي أمر بالصلاة على رسول الله، ولا أعلم هل أنه لا يذكر اسم النبي أصلاً في الخطبة؟ أو أنه يذكر الاسم من دون أن يصلي عليه؟ وقد يستطيع شخص أن يتغافل عن ذكره (ﷺ) خطبة أو خطبتين لكن في طول السنة؟ هذا أمر غريب للغاية.

أقول: بغض النظر عن الناحية الدينية! فهو يدل على غباء سياسي وحمق إداري! إذ أنه يستعدي بذلك ليس فقط بني هاشم وهم فئة كبيرة ومهمة في المجتمع ومعهم من يواليهم، بل هو يستعدي عموم المسلمين، فالرسول ليس ملكاً لبني هاشم!

كما استعدي بني هاشم فهو بالإضافة إلى تصريحه بأنه ترك الصلاة على النبي مناكفة لهم، وأنه يكتف في قلبه بغض لهم منذ أربعين سنة! لم يكتف بذلك بل حاول إجبارهم على أن يبايعوه وإلا نكل بهم، فجمعهم في موضع وهددهم بأن يحرقهم بالنار إن لم يبايعوا،^(١) لو لا أن جاءتهم نجدة من المختار الثقفي الذي كان قد سيطر على الكوفة حينها! وبعضهم كابن عباس غادر مكة والمدينة ليستقر في الطائف، بل وجد أن اللجوء إلى الأمويين على كل عداوتهم هو أهون من البقاء تحت حكم ابن الزبير!

(١) البغدادي: ابن سعد: الطبقات الكبرى (الطبعة الخامسة من الصحابة ١/ ١٨٧): «لما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين عبد الملك بن مروان ارتحل عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما حتى نزلوا مكة فبعث عبد الله بن الزبير إليهما تبايعان فأبيا وقالوا: أنت وشأنك لا نعرض لك ولا لغيرك. فأبى وألح عليهما إلحاحاً شديداً وقال لهما فيما يقول: والله لتبايعن أو لأحرقنكما بالنار فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة إلى شيعتهما بالكوفة وقالوا: أنا لا نأمن هذا الرجل. فمشوا في الناس فانتدب أربعة آلاف فحملوا السلاح حتى دخلوا مكة فكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة. وابن الزبير في المسجد فانطلق هارباً حتى دخل دار الندوة. ويقال تعلق بأستار الكعبة وقال: أنا عائد الله!»

♦ ومن سوء إدارته للبلاد:

أنه يعادي أهلها ويتحداهم ثم يتصور أنهم سوف يطيعونه! فهو عندما قتل مصعب أخوه على يد الأمويين في معركة دير الجاثليق قام خطيباً وشتّم أهل العراق،^(١) مع أنهم هم الذين قاتلوا معه، بالرغم مما عمل فيهم أخوه مصعب عندما دخل الكوفة وقد مر جواب عبد الله بن عمر له عندما قتل خمسة آلاف من أهل الكوفة صبراً. وأعجب من ذلك عندما أرسل إلى الكوفة عبد الله بن مطيع العدوي ليكون والياً عليها، وهو يعلم أن الكوفة شيعية الهوى، ولا ريب أن سيرة علي بن أبي طالب عندهم لا تدانيها سيرة أحد من الناس، فيأتي ليقول لهم علانية إنه سيسير بهم بسيرة عثمان وهم الذين نقموها أو سيرة عمر بن الخطاب!^(٢)

(١) الدينوري؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/ ٢٦٢: قال ابن الزبير «ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه به.»

بل شتمهم قبل ذلك في خطبته بسنوات بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) حيث قال كما ذكر الطبري في تاريخه ٥/ ٤٧٤: «إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسينا لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه» وهو بذلك يكرر نفس المعزوفة الأموية!

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٢٩١: في تولية ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي على الكوفة «ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال: أما بعد فإن أمير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم، وأمرني بجباية فيكم وأن لا أحمل فضل فيكم عنكم إلا برضى منكم، وأن أتبع وصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفان، فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم، فإن لم تفعلوا فلوما أنفسكم [ولا تلومونني] فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي، ولأقيمن درء الأصعر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: أما حمل فيئنا برضانا فإننا نشهد أنا لا نرضى أن يحمل عنا فضله وأن لا يقسم إلا فينا، وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في =

وكان فيه جلافة ظاهرة، فقد «قدم عليه قوم من الأعراب فقالوا: قدما للقتال معك، فنظر فإذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة، وقد خرج من غمده، فقال: يا معشر الأعراب، لا قربكم الله! فوالله إن سلاحكم لرثّ، وإن حديثكم لغثّ، وإنكم لقتال في الجذب، أعداء في الخصب»!

وقد لخص أحد الباحثين جملة من النواقص وعناصر الفشل في شخصيته بالنحو التالي: «كان ينقصه بعض الصفات الرئيسية للسيادة، كالكرم وتنظيم الدعاية والمسايرة؛ فقد كان قاسياً لا يساير، وكان لا يهتم بخصومه، وكان بخيلاً يضمن بالمال حتى على أقرب المقربين منه، وفي أشد المواقف حراجه؛ فقد روى ابن الأثير أنه لما اشتد حصار الحجاج على أهل مكة وأصابت الناس المجاعة لم يخرج لهم ما في بيوته، وإنها لمملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمرّاً.

ولما بعث إليه أخوه مصعب بوجوه أهل العراق أوصاه بالإحسان إليهم وعطائهم، فلم يعطهم شيئاً وردهم شرّ رد، ولم يكن كذلك خصومه من بني أمية..

قال علي بن زيد الجديعاني: كان عبد الله كثير الصلاة، كثير الصيام،^(١) شديداً على الناس، كريم الجدات والأمهات والخالات، إلا أنه كانت فيه خلال لا يصلح معها للخلافة؛ لأنه كان بخيلاً، ضيق العطاء، سيئ الخلق، حسوداً، كثير الخلاف، أخرج محمد ابن الحنفية، ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف. وهكذا قُضي على ابن الزبير وحركته.^(٢)

= فيتنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا، وإن كانت أهون السيرتين علينا، وقد كان يفعل بالناس خيراً».

(١) تقدم كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في أن ابن الزبير كان يستعمل حباله الدين لاصطياد الدنيا!

(٢) طلس؛ محمد أسعد: عصر الاتساق: تاريخ الأمة العربية ٥٧/٤.

أزمة الشخص أو أزمة النظرية؟



بالإضافة إلى ما ذكره محمد سعد طلس، وقبله ماهر حمادة، وغيرهما من الباحثين الذين تحدثوا عن صفات ابن الزبير الشخصية وأنها لم تكن حتى بالمقاييس البشرية العادية دون المتوسط التي كان عليها كثير من حكام بني أمية، ولم تؤهله لكي يتولى الحكم والرئاسة التي كان قد اقتتل عليها منذ أيام حصار الخليفة الثالث عثمان بن عفان^(١)، وعاش حياته كلها ساعياً لها فلم تؤاته الفرصة، وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): يروم أمراً ولا يدركه!

نعتقد أن هناك مشكلة أعمق من مشكلة ابن الزبير الشخص، وهي مشكلة نظرية الإمامة والخلافة في مدرسة الخلفاء.

ولتوضيح ذلك نقول: إن نظرية الإمامة والخلافة في مذهب أهل البيت (عليهم السلام) واضحة، تعتمد على أساس أن انتخاب الإمام وتوليّه على الناس هو منصب إلهي، مثلما هو منصب النبوة، ولا يؤثر فيه قبول الناس ولا رفضهم، فلا يكون شخص إماماً بهذا المعنى ولو اطبق

(١) كلامه في أنه ولاه عثمان بن عفان على من كان في بيته! ورأى في هذا ترشيحاً له وتفضيلاً!

على طاعته كل أهل الأرض! كما أنه لو كان معيّنًا ومنتخبًا من الله سبحانه وبلغ عن ذلك النبي، فلا يضره شيء ولو لم يطعه أحد من الناس!

ولهذا لا يؤثر في إمامة الإمام وطاعته أن يكون على رأس الدولة أو أن يكون محكوما كسائر الرعية، بل حتى لو كان مسجونًا أو غائبًا غيبة طويلة!

وبغض النظر عن قبول غير الإمامية بهذه النظرية ورفضهم إياها، إلا أنها بالنسبة لهم واضحة وقد قامت الأدلة القطعية عندهم عليها وألّفوا فيها المصنفات الكثيرة والكتب. ويمكنهم أن يوضحوها لغيرهم. وخلاصتها ما تقدم من أن الله سبحانه وتعالى كما أنه لم يهمل البشر فبعث إليهم رسلاً، فكذلك جعل بعد الرسل أوصياء وخلفاء لهم يتابعون مسيرتهم ويحفظون جهودهم في الأمم. ونص على تعيينهم بأسمائهم، وبلغ الأنبياء أمهم ذلك، فمنهم من هدى الله إلى أوليائه وأوصياء أنبيائه ومنهم من خالف وأبى!

والأمة الإسلامية لم تكن بدعاً من الأمم، فلما انقضت أيام رسول الله (ﷺ) حيث إنه ميت وهم كذلك «أقام وليه علي بن أبي طالب مقامه، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد، فقال والملائم أمامه من كنت مولاه فعلي مولاه...»^(١).

إلا أنّ مذهب مدرسة الخلفاء، ولكي يصحح ما وقع بعد رسول الله (ﷺ)، فقد اجتهد في صياغة مجموعة من النظريات كل واحدة لا توافق الأخرى. فتم تصحيح خلافة الخليفة الأول تارة بعنوان الإجماع

(١) من دعاء الندبة وهو يحتوي على نحو ٢٠ حديثاً في تقدم الإمام علي والنصوص عليه.

من المسلمين، وأخرى الاختيار من أهل الحل والعقد، وثالثة بأنها بالنص الخفي والإشارة.. وهكذا.^(١)

وفي صحيح خلافة الخليفة الثاني تحدثوا عن عهد الخليفة السابق إليه، وأنه يكسبه الشرعية والإلزام، وفي صحيح الخلافة الثالثة تحدثوا عن الشورى، وانحصرت شورى المسلمين كلهم في (ستة أشخاص) والترجيح لواحد لكي يلتزم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بهذا المرجح! وفي خلافة معاوية تحدثوا عن تنازل الإمام الحسن له.. مع أن الكلام يأتي في أصل توليه على بلاد الشام؟ وفي خلافة يزيد مع ما كان عليه (من الموبقات) قالوا بعهد أبيه إليه!

الآن وقد مات يزيد وتنازل معاوية ابنه لأنه لا يريد أن يوغل في الشر أكثر مما فعل أبوه وجده وكان نتيجة تنازله أن تم قتله بشكل خفي!

ما هي نظرية مدرسة الخلفاء^(٢) هنا في مثل هذا الوضع؟

(١) وقال علماء الإمامية: وكلها لا تثبت فكيف يكون إجماع المسلمين ولا يحضره عترة النبي وبنو هاشم ومواليهم وكذلك نصف الأنصار إن لم يكن أكثر وهم أتباع سعد بن عباد الخزرجي، فضلا عن سائر المسلمين في باقي بلدان الإسلام حينها.. وغيرهم وكيف وصفها عمر بن الخطاب فيما بعد بأنها «فلتة»؟ وكيف ثبتت بأهل الحل والعقد وهم غياب إلا من بضعة نفر؟ وقد اضطرب كلامهم في أهل الحل والعقد: من هم؟ وهل تشترط مبايعتهم كلهم أم يكفي بعدد معين منهم؟ أم لا يشترط العدد؟ أو أنه يكفي واحد كما قال بعضهم؟ وإذا انتخب كل أهل حل وعقد في بلدهم خليفة فما هو العمل؟ وينسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله شعراً كما في نهج البلاغة ص ٥٠٣:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم
فكيف بهذا والمشيرون غيب
فغيرك أولى بالنبي وأقرب

(٢) الفتازاني؛ سعد الدين: شرح المقاصد ٢٣٣/٥ وتنقد الإمامة بطرق:

أحدها - بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء، ووجوه الناس الذين يتيسر =

الذي حصل وصار نظرية فيما بعد أن من تغلب على الأمر فهو الخليفة! على طريقة الذي يتزوج أمي يكون عمي! ومعنى ذلك أن القوة والسلاح والبندية في كل زمان هو الذي يعين الخليفة وهو الذي يحكم المسلمين!

بل لقد قالوا بأنه لو تنازع شخصان على الخلافة فينتظر إلى الجمعة فأيهما غلب الآخر وكسره، وصلى الجمعة فهو الخليفة!

المشكلة أنه حتى هذا الحل لم يساعد منظري مدرسة الخلفاء في فترة حركة ابن الزبير، فإنه وإن أرسل ولاية هنا وهناك وعامة الناس تريد أن تسير حياتها اليومية بشكل عادي، وأن لا تتعطل مصالحها إلا أنه لم يتم إليه الأمر، وظل في حالة معركة ومواجهة متعددة الجهات لمدة عشر سنوات! أي من هلاك يزيد سنة ٦٤ هـ إلى سنة ٧٣ هـ سنة موت ابن الزبير، فقد حارب أخاه عروة بن الزبير الذي أرسله يزيد على رأس فرقة عسكرية في مكة. وحارب المختار بن أبي عبيدة الثقفي بواسطة أخيه مصعب بن الزبير في الكوفة. وحارب مصعب نيابة عن أخيه وقاتل عبد الملك بن مروان في دير الجاثليق قرب سامراء فقتل.. فهذه

= حضورهم من غير اشتراط عدد، ولا اتفاق من في سائر البلاد بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته!.

والثاني - استخلاف الإمام وعهده، وجعله الأمر شوري، بمنزلة الاستخلاف، إلا أن المستخلف غير متعين، فيشاورون ويتفقون على أحدهم. وإذا خلع الإمام نفسه، كان كموته، فينتقل الأمر إلى ولي العهد.

والثالث - القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف، وقهر الناس بشوكته، انعقدت الخلافة له. وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر! ولا يجوز نصب إمامين في وقت واحد على الأظهر، وإذا ثبت الإمام بالقهر والغلبة ثم جاء آخر فقهره، انعزل وصار القاهر إماماً.

المدة كلها كانت حروباً ومعارك.. هذا فضلاً عن المعارك السياسية والمناكفات الشخصية التي كان يخوضها في مكة مع بني هاشم وغيرهم! فكيف صار هذا أمير المؤمنين؟ وكيف صارت أيام حكمه خلافة كما حاول الصلابي مستميتاً إثباته في كتابه؟

فلا هو معين من الله (عز وجل) على طبق نظرية الإمامية! بل تقدمت الرواية من مصادر مدرسة الخلفاء معبرة عنه أنه يلحد في الحرم وأن عليه نصف عذاب العالم.

ولا أنه جاء بمشورة من المسلمين، ولو بشكل صوري كالتي حدثت أيام خلافة الخليفة الثالث!

ولا أنه غلب على خصومه وأعدائه واستقرت له البلاد!

فلم نفهم وجهاً لا اعتبارهم إياه أميراً للمؤمنين! إلا إذا كان على طبق ما يقوله الشاعر

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر!

والمسألة أنه خلال عشر سنوات على الأقل كان في حالة حرب وقاتل، فلا هو باسط سيطرته حتى يحكم بأنه المتغلب ولا هو متنازل لغيره! وإذا كان أهل الحل والعقد قد انتخبوه فرضاً في مكة، فإن أهل الحل والعقد في الكوفة قد انتخبوا المختار! وأهل الحل والعقد في دمشق قد انتخبوا مروان بن الحكم.. وهكذا. فأى أهل حل وعقد يكون انتخابهم حجة على غيرهم؟

وإذا قالوا بأن الشورى في مكة هي التي عينته، فإن شورى العراق عينت غيره، وشورى الشام كذلك.. وهذا ينبئك أن المشكلة ليست

في الشخص ولا في الحادثة وإنما الإشكال كل الإشكال هو في أصل النظرية.

♦ وقد نتج عما سبق من النظرية الباطلة:

١/ أن صار الإمام هو من يملك القوة والجيوش لأن المدار هو على التغلب، حتى لو كان فاسقاً وهذا بنص ما ذكره التفتازاني. ومن الطبيعي أن الأتقياء والعلماء ليسوا مشغولين بجمع الجيوش وتهيئة القوى، والذي هو من فعل المغامرين السياسيين، وأصحاب الأطماع فيخوضون حرباً بعد أخرى طيلة حياتهم، ليكونوا خلفاء مطاعين بالتغلب. وأمامك تاريخنا الإسلامي من بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى يومنا الحاضر تجد تطبيقاً لهذا المبدأ الفاسد. فكل تلك الدول بخلفائها؛ الأمويين والعباسيين والسلاجقة والأيوبيين والعثمانيين وبل حتى علمانيي العصر الحديث من الرؤساء هم بناء على تلك النظرية أئمة وخلفاء! لا سيما وأن البعض كالأحناف لا يشترط العدالة والعلم في الخليفة حتى في حال الاختيار فضلاً عن حالة الاضطرار. فيجوز إمامة الجاهل الظالم عندهم اختياراً.^(١)

٢/ بل كانت تلك النظرية طريقاً لنشوء الجماعات المتطرفة، والتي عانت منها مجتمعاتنا المسلمة في العقود الأربعة الأخيرة، حيث تصدى من تصدى ليكون جماعة يبايعونه باعتباره أمير المؤمنين وأن دولته هي دولة الخلافة، ثم يزحفون على القرى والبلدات المسلمة، وما قدروا عليه أصبح جزءاً من الخلافة، وبأمر أمير المؤمنين (!! صار سبي النساء وجهاد النكاح ونكاح الجهاد.. وغير ذلك!

(١) راجع كتاب الخلافة لمحمد رشيد رضا..



والغريب فيمن يستدل من علماء تلك المدرسة على بطلان تلك الجماعات المتطرفة بأحاديث ونظريات هي نفسها دليل على تصحيح إمامة وخلافة تلك الجماعات ورجالها.. وما ذاك إلا لأن أصل النظرية تعيش أزمة. وأن تطبيقاتها كما تحتمل الرأس الحاكم بالفعل أيضا تحتمل المحكوم الذي ينازعه وقد يتصر عليه ويتغلب، فيكون هو الخليفة والإمام، ولأجل أن يتغلب هذا على الحاكم الرسمي فإنه يقوم بتلك الحركات حتى يصل إلى هدفه.

٣/ ترتب على هذا أن يكون لبعض الأمة إمام وخليفة في يوم وتقاتل الأمة معه ضد عدوه وتسفك دماءهم مستحلبة لها، لكن في اليوم التالي يكون إمامها هو ذلك العدو (ليوم أمس) نفسه، وتقاتل من يقاتله! وتتقرب إلى الله بالصلاة خلفه! والفارق قد يكون نصف نهار! وهذا ما حدث في أيام صراع الزيريين مع الأمويين!

والحادثة التي ينقلها ابن الأثير في الكامل تشير إلى هذا التخطئ في نظرية الإمامة عند مدرسة الخلفاء فإنه «حين قُتل مصعب بن الزبير كان المهلب قائد مصعب العسكري يحارب الأزارقة»^(١) الخوارج بسولاف،^(٢) ثمانية أشهر، فبلغ خبر قتل مصعب إلى الأزارقة قبل المهلب، فصاحوا بأصحاب المهلب:

(١) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي كان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير، نسب إليهم القول بكفر الإمام علي وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وابن عباس وكل المسلمين ممن لم يهاجر إليهم لإنكار المنكر. ونسب إليهم أن التقية غير جائزة في قول، ولا عمل، وأن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَرَ كُفْرَ مَلَّةٍ خرج به عن الإسلام جملة، ويكون مخلدا في النار مع سائر الكفار.

(٢) بلد بفارس على شاطئ البحر.

ما قولكم في مصعب؟ قالوا: أمير هدى، وهو ولينا في الدنيا والآخرة، ونحن أولياؤه.

قالوا: فما قولكم في عبد الملك بن مروان؟

قالوا: ذاك ابن اللعين، نحن نبرأ إلى الله منه، وهو أحلُّ دمًا منكم.

قالوا: فإن عبد الملك قتل مصعبًا، وستجعلون غدا عبدَ الملك إمامكم!.

فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مصعب، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان (وقد كان عدوهم بالأمس يتبرأون منه) فصاح بهم الخوارج: يا أعداء الله! ما تقولون في مصعب؟

قالوا: يا أعداء الله، لا نخبركم. وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم. قالوا: وما قولكم في عبد الملك؟ قالوا: خليفتنا. ولم يجدوا بدًّا إذ بايعوه أن يقولوا ذلك.

قالوا (الازارقة): يا أعداء الله! أنتم بالأمس تبرأون منه في الدنيا والآخرة، وهو اليوم إمامكم، وقد قتل أميركم الذي كنتم تولونه! فأيُّهما المهتدي وأيُّهما المبطل؟^(١).

٤/ إننا لاحظنا الاختلاف الكبير بين علماء مدرسة الخلفاء في تصنيف الأشخاص ما بين أمير المؤمنين، وما بين الخارج عليه! ففيما وصف بعضهم معاوية أنه هو الذي انتزى على الأمة من غير مشورة وبدأ الملك الاستبدادي الفردي بتولية ابنه يزيد! بينما رأى بعضهم أنه قد اجتمع عليه المسلمون فهو أمير المؤمنين وخلافته مشروعة، وانتخابه ليزيد وقع منه بشكل صحيح، وأنه رأى أن الأمة ستجتمع عليه فقد نظر لها وأحسن!

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٣٨٦.



وبينما رأى بعضهم أن ابن الزبير هو أمير المؤمنين والخليفة الشرعي، وأن مروان بن الحكم هو الخارج عليه! تعامل آخرون مع خلافة مروان وابنه عبد الملك خصوصاً على أنها إمارة مؤمنين وأن الأمة كانت في أفضل عصورها أيام عبد الملك وهو أمير المؤمنين أيضاً! وهكذا عندما تولى أبناؤه واحداً بعد واحد فإنهم كلهم أمراء للمؤمنين وخلافتهم مشروعة! وهو اللقب الرسمي لكل حاكم أتى بعده أمويًا كان أو عباسيًا فانظر إلى أي منحدر انحدرت النظرية تلك ومعها الأمة، بحيث تصبح مهزلة لمن يتفكر في مواقفها!

وانظر كيف أكرم الله الإمامية بنظرية الإمامة التي بدأها رسول الله بقوله في علي (عليه السلام)، إنه خليفتي ووصيي ووارثي. وأن الأئمة من قریش (لا بالحديث المبتور الذي نقلوه، والتفسير المشوه الذي فسروه) وإنما بما صح عن رسول الله: إنهم اثنا عشر، وأن آخرهم قائمهم، وأنهم بعد علي والحسن والحسين، تسعة من ذرية الحسين (عليه السلام).

فإن أقبلت الأمة إليها فحفظها راقبت وبحبل الله المتين تمسكت، وإن تركت ذلك وانقلبت كما حصل فلا يضر الأئمة شيء وسيجزى الله الشاكرين، وعليها أن تنتظر النتائج كما قالت الصديقة الزهراء (عليها السلام) « لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا طلاع القعب دمًا عبيطًا وذعافًا ممقرًا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غبًا ما أسس الأولون ثم أطبوا عن أنفسكم نفسًا وطامنوا للفتنة جأشًا وأبشروا بسيف صارم وبقرح شامل واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيدًا وجمعكم حصيدًا فيا حسرة لكم وأتى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون»^(١).

(١) ابن طيفور؛ أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء ص ٢٣.

حركة عبد الله بن حنظلة غسيل الملا ئكة ثورة أهل المدينة



كما ذكرنا أن يزيد بن معاوية، بل وأباه معاوية، كانا يتلاعبان بالأتباع والأنصار والولاة تلاعب الصبيان بالكرة، فقد تجد في سنة واحدة يتعاقب على بلد واحد ثلاثة أو أربعة ولاة،^(١) وقد يغير هذا الوالي في أول السنة لكي يأتي إليها بعد مدة ستة أشهر أو سنة! والغرض من ذلك بالإضافة إلى تحطيم طموحاتهم في منازعة الخليفة نفسه، أن يجعلهم طوع الأمر فإذا رفض أحدهم شيئاً أو قصّر في السعي فيه، فإنه يُعزل وفي ذلك رسالة واضحة له وللمن يأتي من بعده!^(٢)

(١) كانت إمرة المدينة أيام معاوية وابنه متقلة بين سعيد بن العاص ومروان بن الحكم، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق). وعثمان بن محمد بن أبي سفيان، وكان ربما ولي مروان بن الحكم أول السنة، وعزله في منتصفها ليولي منافسه الوليد بن عتبة أو سعيد بن العاص.. ويأمر كل منهم باستقصاء مخالفات سابقة وإحلال العقوبة به، واستصفاء أمواله.. وهكذا حتى لا يطمح أي منهم في مخالفته أو يمد رأسه للخلافة.

(٢) في كتاب تاريخ أمراء المدينة ص ٥٣ ذكر مؤلفه عارف أحمد عبد الغني أن: مروان بن الحكم قدم بعد حرب الجمل إلى المدينة المنورة، فلم يزل بها حتى ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة، فولّاه المدينة سنة ٤٢هـ ثم عزله، وولى سعيد بن العاص ثم عزله، وأعاد مروان ثم عزله، وظل بعد عزله بالمدينة المنورة حتى وقعة الحرّة حيث وثب =



وكان هذا يحصل في زمان معاوية مراراً وحصل كذلك في أيام يزيد بن معاوية، فإن هذا لما أرسل رسالة للوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين (عليه السلام) ومن عبد الله بن الزبير أخذاً شديداً ليس فيه هوادة وأن من امتنع منهم فليضرب عنقه بالسيف.. رأى أن الوليد لم يمثل أمره بالنحو الذي أراد وترك الحسين (عليه السلام) وابن الزبير يخرجان من المدينة إلى مكة! وكان في رأيه وهو نفس رأي مروان بن الحكم أن يقتلها إذا لم يبايعا! ونعتقد أن مروان قال هذا مناكفة للوليد ومزايدة عليه، حتى يصل الخبر ليزيد ويوليه الإمارة مكان الوليد!

لكن يزيد خيب أمله وعيّن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، الذي عرف بأنه شرس وفاتك، وبالفعل فقد بقي في ولاية المدينة وأضاف إليها مكة المكرمة ليفتك بابن الزبير ويقضي على حركته، وفي هذه الأثناء رفع إليه الوليد بن عتبة أن الأشدق متهاون في طلب ابن الزبير وأنه يداريه ويرفق به! فعزل الأشدق وولى بدلاً عنه على الحجاز كله الوليد بن عتبة ليقوم في شأن ابن الزبير بما فشل فيه الأشدق، وقد حاول الوليد اعتقال ابن الزبير لكنه فشل! وذهب عمرو بن سعيد إلى يزيد وشرح له أمر ابن الزبير وعذره في تقصيره، لكنه لم يُعده والياً، بل نصب بدلاً عن الوليد وعمرو بن سعيد، شخصاً جديداً هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان الأموي!

وقد وُصف هذا بأنه غرٌّ عديم التجربة، ولا ندري السبب الذي دفع يزيد بن معاوية لتوليته المدينة المنورة سنة ٦٣ هـ، وأي مؤهلات رآها فيه ليتولاها، إلا إذا كانت هي نفس المؤهلات التي كانت لدى يزيد نفسه!

= أهل المدينة وأخرجوا إليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان وبني أمية وفيهم مروان بن الحكم، وأخذوا عليه أن لا يدُل على عوراتهم.

وقد يكون من مؤهلاته أنه نكح أم عثمان بنت يزيد بن معاوية! ^(١) ولعل من عدم تجربته أنه أوفد إلى يزيد وفداً من أعيان أهل المدينة.. وذلك بعدما أزمكت رائحة معاصي يزيد آناف المسلمين، وانتشرت أخبار جرائمه من قتله الحسين (عليه السلام) في كربلاء وأهل بيته وأنصاره ثم سبيه نساء عترة النبي (صلى الله عليه وآله). هذا فضلاً عما كان معروفًا منه مما نقله لأهل المدينة بعض من ذهب إليه، من أنه «ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة» ^(٢) وأنهم «قدموا من عند رجل فاسق يشرب الخمر ويضرب الطنابير، ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب» ^(٣) مع أنه يفترض أن يكون قد تزين أمامهم وامتنع عن الموبقات لكي يأخذوا عنه نظرة جيدة ويزينوا صورته أمام أهل المدينة.. فإذا كان مع هذا التزين وقد عرفوا عنه ذلك فكيف يكون الأمر لو لازموه فترة طويلة؟

ما وصل إليه أهل المدينة وسائر المسلمين، بعد حكومة يزيد وسيطرته على الخلافة باستخلاف أبيه إياه، من أنه شخص منحرف عن الدين للغاية على المستوى الشخصي، وخطر على شريعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المستوى العام، هو ما كان الإمام الحسين (عليه السلام) يخبر عنه قبل ولاية يزيد بمدة من الزمان، وهو ما كان يتحدث عنه مع كل من يسأله عن سبب خروجه ونهضته..

لقد كان يقول: «يزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، مثلي لا يبايع لمثله» ^(٤) ويقول «على الإسلام السلام، إذا

(١) البغدادي؛ محمد بن حبيب: المحبر ص ٥٨.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير ٧ / ٧٠.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٨.

(٤) الكوفي؛ أحمد بن أعثم: الفتوح ٥ / ١٤.

بُلِّيتِ الأُمّةُ بِرَاعٍ مِثْلَ يَزِيدٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِي رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سَفْيَانَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مَنْبَرِي فَابْقُرُوا بَطْنَهُ»^(١)..

وهذا ما وصل إليه هؤلاء الناس أخيراً وانتهى بهم الأمر إلى الثورة عليه وخلع ولايته.

المهم أن والي المدينة الجديد قد أوفد جماعة من أهل المدينة، إما بناء على أن يزيد طلب منه إرسالهم إليه ظناً منه أنه سيعطيهم الأموال إن جاؤوا ثم سيكونون لسان دعاية وإعلام له في المدينة بالمدح والثناء. وإما - وهذا ما اعتقده - أن الوالي الغرَّ كعادة هؤلاء، ولكي يتخلص من المشكلة فإنه يحيلها إلى من هو أعلى منه رتبة، ويتصرف فيحل المشكلة أو إذا لم يستطع لصعوبتها فلا أقل من أنه سيعذر الوالي في عدم قدرته على حلها.

وكيف كان فإن وفداً من أهل المدينة؛ ذكر من أسمائهم: عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة) بن أبي عامر الراهب،^(٢) ومنهم عبد الله

(١) المصدر نفسه ص ١٧، في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) لمروان، وقد «أمره» بمبايعة يزيد! قال الإمام: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة برّاعٍ مثل يزيد. ثم أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! أأأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق! لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا أؤمك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله (ﷺ) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله (ﷺ) لا يمكن له ولا منه إلا أن يدعو إلى بيعة يزيد. ثم قال: إليك عني يا عدو الله! فإنا أهل بيت رسول الله (ﷺ)، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فافقروا بطنه» فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به».

(٢) البصري؛ خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٣٧.

بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري^(١) والمنذر بن الزبير بن العوام^(٢).

وبعد رجوع الوفد بدأ هؤلاء ينشرون بين الناس ما رأوا من يزيد من أمور موبقة، فزاد غيظ الناس عليه بالإضافة لما ارتكب في بداية أمره من أهل بيت رسول الله (ﷺ)، حتى لقد قال عبد الله بن حنظلة في خطبته أمام الناس: «فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً»^(٣).

والي المدينة الغرّ الذي لم تحنكه التجارب، كتب على الفور ليزيد بن معاوية بما يحدث في المدينة من انتفاضة على بني أمية ومناوأتهم..

(١) الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر ١٠٨/٤: فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي: خلعت يزيد كما خلعت عمامتي. ونزعها عن رأسه وقال: إني لأقول هذا، وقد وصلني وأحسن جازيتي، ولكن عدو الله سكير.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٣٨/٥: ووصل يزيد المنذر بن الزبير بمائة ألف درهم، وقدم المنذر بن الزبير البصرة من بين الوفد، فأكرمه ابن زياد وبرّه وأمر له بمائة ألف درهم. ولما بلغ يزيد خلع أهل المدينة وتوليتهم ابن الغسيل أمرهم، كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه، فكره ابن زياد ذلك إذ كان ضيفه وصديق أبيه زياد، فكتب إليه: إنّه أئماً صار إليّ متبرئاً من أصحابه مخالفًا لقولهم وفعلهم، ثم أمر مندرا أن يستأذنه على رؤوس الناس في إتيان الحجاز، وقد كتم ابن زياد أمر الكتاب، فلما فعل أذن له في اللحاق بأهله، فلما صار إلى الحجاز قال في يزيد مثل قول الوفد وقال: إنّ يزيد أجازني بمائة الف درهم، وما يمنعني ذلك من أن أخبركم خبره، والله إنّه ليسكر من الخمر حتى يدع الصلاة، فيقال إنّ المنذر أقام فشهد الحرة، ثم صار إلى مكة، ويقال إنّ قدم مكة قبل الحرة.

أقول: الصحيح أنه لم يشهد واقعة الحرة.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبير ٧٠/٧.

فكان جواب يزيد (الغِرّ الآخر ملاعب القُرود والفهود) تهديدًا لهم باستئصالهم، فقد كتب إليهم كتابًا جاء فيه «وإني قد لبستكم فأخلفتكم ورفعتكم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي، ثم على بطني؛ والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقلّ بها عددكم، وأترككم بها أحاديث؛ تتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود!». (١)

وتشير المصادر هنا إلى أن يزيد تذكر وصية أبيه معاوية بأن يرمي أهل المدينة بمسلم بن عقبة المري، (٢) وسواء صحت تلك الوصية فيكون إثم ما حصل في المدينة من قتل وإباحة دماء وأعراض في قسم منه مسؤولية معاوية. أو لم تصح وإنما كان أتباع الأمويين يريدون إظهار فضائل معاوية واستشرافه للمستقبل ومعرفته بما سيجري والتخطيط له! (٣)

ومما يشكك في صحة تنبؤ معاوية بيوم لأهل المدينة وأن يرميهم بمسلم بن عقبة، أن ابن الأثير وغيره ذكروا بأن يزيد بعث أولاً لعمر بن سعيد الأشدق ليتولى قتال أهل المدينة فرفض (غضبًا من عزله له عنها) ثم بعث لابن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال: والله لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول الله وغزو

(١) الاندلسي؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٣٧/٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٥٢/٥. «أن معاوية قال ليزيد ابنه: إن لك من أهل المدينة يوما فإن فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفنا نصيحته! الغريب أن الطبري نقلها بعنوان: إن لك من أهل الدنيا! ولا نعرف معنى لهذا الكلام! وقد تبينت نصيحة مسلم بن عقبة بما فعله مما تشيب له الولدان!

(٣) وقد ذكروا مثل ذلك في موضوع الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة وأنه يرميهم ببعيد الله بن زياد، كما ذكروا أيضا ذلك في موضوع ابن الزبير وإنه إن ظفر به فليمزقه إربًا إربًا.. والكلام في الجميع واحد على فرضي الصحة والبطلان.

الكعبة.^(١).. فبعث عندها مسلم بن عقبة المري. فلو كان ما ذكروه صحيحاً لما ظل يستنجد بعمر بن سعد تارة وبابن زياد أخرى!

وعباً يزيد له جيشاً كبيراً من أهل الشام، وجاء بهم هذا المسرف (مسلم بن عقبة) لغزو المدينة! وهنا لا يترك كتاب الاتجاه الأموي طريقته في تشويه مخالفينهم، وذكر مناقب الأمويين فهم يقولون من جهة إن أهل المدينة قد غرّوا الآبار ما بينهم وبين الشام ووضعوا فيها القطران والجيف في كل ماء على طريق الشام وأن جيش يزيد عند خروجه من الشام حتى المدينة لم يستسقوا من بئر ونبع لأن الله أرسل عليهم السماء.. فانظر إلى الاستخفاف بالعقول! أهل المدينة الذين كانوا فيها ولم يخرجوا منها وكان عدد المتصدين للثورة فيها قليلاً ويخافون أن يُتخطفوا! رموا القطران والجيف في كل الآبار ما بينهم وبين الشام!! في مسافة تزيد على ألف كيلومتر!

بينما جيش يزيد الذي سبيح المدينة ويفتك بأعراض نسائها ودماء رجالها، يرسل الله لهم المياه الباردة متى طلبوها من السماء!^(٢)

المهم أن مسلم بن عقبة، والذي صار اسمه بعد ذلك «مسرفاً» وصل إلى أطراف المدينة، وقد حاصر أهل المدينة من بها من الأمويين ثم أطلقوهم بعد أن أخذوا عليهم المواثيق والعهود أن لا يدلوا على عوراتهم^(٣) ولا يظاهروا عليهم عدوهم! ولكن متى كان لبني أمية عهد

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٢/٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٣٧/٥: «فأرسل الله عليهم المطر، فلم يستقوا شيئاً حتى وردوا المدينة». ولعله نقله عنه ابن الأثير في الكامل ٢١٣/٣ بنفس الكلمات: «فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة».

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١٣/٣. «وقالوا: والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم»

أو ميثاق؟ فما أن جاء مسرف بن عقبة وعسكر خارج المدينة حتى مال إليه بنو أمية، وجاء عبد الملك بن مروان (الذي سيصبح أمير المؤمنين فيما بعد عندهم!) ومع أنه أخذ عليه ما سبق من العهود، إلا أنه يسير على المنهج الأموي الدائم وهو أن: متى استطعت الغدر فاغدر^(١) وقد طبقه أيام خلافته بأسوأ صورته. فشرح هذا لمسرف بن عقبة عورات المدينة وكان يعرفها تماما فإنه من سكانها، ووصف له طريقة كل ثغرة، تمكنه من الانتصار على ثائري المدينة!

«وفي ذي الحجة سنة ٦٣هـ وقعت المعركة! وجاءت بنو حارثة^(٢) في خيانة مدبرة من خلف جماعة عبد الله بن حنظلة وثور المدينة، وباغتهم من خلفهم بينما كان أهل الشام من أمامهم، وانهزم أصحاب الأطماع^(٣) يتقدمهم عبد الله بن مطيع العدوي (حليف ابن الزبير المهم) على بغلته إلى مكة!

= ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلة، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدوا، فنكف عنكم ونخرجكم عنا فعاهدوهم على ذلك فأخرجوهم من المدينة».

(١) المصدر نفسه ٢١٣: فقال له عبد الملك «أرى أن تسير بمن معك، فإذا انتهيت إلى ذي نخلة نزلت، فاستظل الناس في ظله فأكلوا من صقره، فإذا أصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من ائتلاف ببيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم واستعن الله عليهم».

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٢١٧: «فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا تكبيرا من خلفهم في جوف المدينة، وكان سببه أن بني حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة فانهزم الناس، فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قتل».

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢١٦. «وكان فيمن انهزم محمد بن سعد بن أبي وقاص».

وقاتل عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة والمخلصون معه حتى الرمق الأخير،^(١) لتنتهي المرحلة الأولى من وصية يزيد لقائده مسرف بأهل المدينة، ولتبدأ المرحلة الثانية؛ فقد كانت وصيته له هكذا: «إِذَا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ فَمَنْ عَاقَكَ عَنْ دُخُولِهَا أَوْ نَصَبَ لَكَ حَرْبًا فَالْسَّيْفَ السَّيْفَ لَا تُبْقِ مِنْهُمْ وَأَجْهَزْ عَلَى جَرِيحِهِمْ وَأَقْتُلْ مُدْبِرَهُمْ وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْقِيَ عَلَيْهِمْ». ^(٢)

- وفي نص آخر «فادع الناس ثلاثا، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإن ظهرت عليهم فأبحها ثلاثا، فما كان بها من مال أو رثة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس». ^(٣)

وهذا سيكون أحد مواضع أزمة الاتجاه الأموي في مدرسة الخلفاء وأنهم كيف يستطيعون الدفاع عنه؟ هل إنكار ما حدث؟ أو بتبرير حدوثه؟ وسيأتي ذكره في الموضوع القادم.

كان ما صنعه مسرف بن عقبة متجاوزاً لأسوأ التقديرات والاحتمالات، فكان القتل عنده أسهل من شربة ماء! ولم يكن يقبل شفاعة أحد في أحد، حتى أن مروان وهو كبير بني أمية في المدينة حينها لما أحاط

(١) المصدر نفسه ٢١٥: «إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى ابن الغسيل فقاتل معه في نحو من عشرين فارساً قتالاً حسناً»، ثم قتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما أحب أن الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم! وقتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري».

(٢) المغربي؛ محمد بن أحمد: المحن ص ١٧٤، والمسعودي: علي بن الحسين: التنبيه والإشراف ٢٦٣/١، والسمهودي؛ علي بن عبد الله: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٠٦/١.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٤١/٥.

عبد الله بن زمعة بذراعيه قال مسرف لجلاده، إن تركه وإلا فاقتلها معا!

كان شخصاً عجيب الانحراف، إذ أن الإنسان إذا كبر سنه، واقترب من الموت يزداد حكمة وتورعاً، وتقل مجازفاته في القتل والانتقام، وهذا الرجل كان في آخر أيامه كما اعترف هو بنفسه في رسالته ليزيد ومع ذلك قتل ما قتل وأباح المدينة ثلاثاً في المال والعرض وغير ذلك!

وبعد ما قام بكل تلك الفظائع أرسل لإمامه (أمير المؤمنين في مدرسة الخلفاء!) يزيد كتاباً قال فيه «.. فما صليت الظهر أصلح الله أمير المؤمنين إلا في مسجدهم، بعد القتل الذريع، والانتهاك العظيم، وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم، وأتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم، وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين، أعز الله نصره، وجعلت دور بني الشهيد المظلوم عثمان بن عفان، في حرز وأمان، فالحمد لله الذي شفى صدري من قتل أهل الخلاف القديم، والنفاق العظيم، فطالما عتوا، وقديما ما طغوا وكتبت إلى أمير المؤمنين، وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنفًا مريضًا، وما أراني إلا لما بي، فما كنت أبالي، متى مت بعد يومي هذا».^(١)

وأعجب من الكتاب السابق، بحيث يجعل الناظر يحتار في هذه الشخصية العجيبة، هو ما قاله وهو يلفظ أنفاسه التنة الأخيرة بهذه الكلمات «اللهم إني لم أعمل قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله عملاً أحب إلي من قتلي أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة».^(٢)

(١) صفوت؛ أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب في عصور العريية ٢ / ٨٩، وابن قتيبة الدينوري: الامامة والسياسة ١ / ١٨٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٣ / ٢٢١.

ماذا قالوا عن واقعة الحرة:



تجتمع كلمة المؤرخين على فظاعة ما حصل في أهل المدينة، سواء لجهة الأعداد التي تنقل عن القتلى وكيفية القتل حتى بعد انتهاء المعركة، والاجهاز على الجرحى تطبيقاً لوصية يزيد، أو لجهة تنوع أشكال التنكيل التي حصلت فيهم؛ من القتل والسلب والنهب واقتحام البيوت أو للاغتصاب الكامل للنساء كما تشير إليه بعض المصادر وإن حاول أتباع الاتجاه الاموي إنكاره، وسيأتي ذكر ذلك.. أو لجهة انتهاك المقدسات العامة عند المسلمين كمسجد رسول الله (ﷺ) حتى أنه عطلت الصلاة فيه، وربطت الدواب والبغال في داخله حتى بالت وراثت ! بل والكلاب كما ذكر ذلك بعض المؤرخين.. وسننقل ما ذكر في مصادر التاريخ ثم نعلق عليها!

أ/ فقد ذكر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) في كتاب الحرة،^(١) كما نقل عنه السمهودي في كتابه وفاء الوفاء^(٢) قال: حدثني عبد الله بن جعفر قال:

(١) من الكتب التي لم نعر عليها، ولعله أُلّف فيما أُلّف من الكتب الفاضحة! وبقي منه ما عثر عليه السابقون فيه فنقلوه في كتبهم.

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١/ ١٠٧.



سألت الزهري: كم قتل من الناس يومئذ؟ قال: أما من وجوه الناس فأكثر من سبعمائة من قريش والأنصار ووجوه الموالي، ثم عدّ علي من قتل حتى ما كنت أرى أنه بقي أحد إلا قتل يومئذ، ثم قال الزهري: ولقد قتل ممن لا يعرف من الموالي والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف..».

ب/ كما نقل السمهودي نفسه^(١) ناقلا عن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) الذي أسند الخبر إلى المدائني (ت ٢٢٩ هـ) عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج!

وعن المدائني أيضا عن أبي عبد الرحمن القرشي عن خالد الكندي عن عمته أم الهيثم ابنة يزيد قالت: رأيت امرأة من قريش تطوف، فعرض لها أسود فعانقته وقبلته، فقلت: يا أمة الله، أتفعلن هذا بهذا الأسود؟ فقالت: هو ابني، وقع علي أبوه يوم الحرة.

ج/ وأما ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) فقد قال ناقلا الخبر عن الزهري: «بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والأنصار، ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبع مئة، وسائر الناس عشرة آلاف. من أخلاط الناس والموالي والعبيد، قال وأصيب نساء وصبيان وكان قدوم أهل الشام المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وستين، فانتهبوها ثلاثاً حتى رأوا هلال المحرم، ثم أمسكوا بعد أن لم يبقوا أحداً به رمق، وقتل بها من أصحاب النبي^(ص) (ثمانون رجلاً)^(٢)». (٣)

(١) المصدر نفسه ١٠٨ / ١

(٢) والعجب من البعض حين يتمعر وجهه غضباً لأنك تنتقد موقف أحد الصحابة في موضوع ما، لا تهتز له شعرة مع قتل هذا العدد من الصحابة، ويستमित جاهداً في تبرئة يزيد وإخراجه من المسؤولية كما تستل الشعرة من العجين!

(٣) الدينوري؛ ابن قتيبة: الامامة والسياسة ١٨٨ / ١.

د/ وذكر اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) في كتابه أن مسرف بن عقبة «أباح حرم رسول الله، حتى ولدت الأبيكار لا يعرف من أولدهن، ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية»^(١).

هـ/ وأما ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) فقد كتب «وجالت الخيل في مسجد رسول الله (ﷺ)، وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر، ولم تصل جماعة في مسجد النبي (ﷺ)»^(٢).

و/ وقد ذكر أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ) في كتابه المختصر أنه «أباح مسلم مدينة النبي (ﷺ) ثلاثة أيام يقتلون فيها الناس ويأخذون ما بها من الأموال ويفسقون بالنساء»^(٣).

ز/ وفصل المؤرخ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) في كتابه عن تاريخ المدينة القول عن مسرف بن عقبة كالتالي: «فقاتل أهلها، فهزمهم وقتلهم بحرتها، على ميل من المسجد النبوي، قتلاً ذريعاً، في بقايا المهاجرين والأنصار، وخيار التابعين، وقراء القرآن، وسائر الناس، واستبيحت الفروج، فافتضت ألف عذراء، والأنفس والأموال، وجالت الخيل في المسجد النبوي»^(٤).

ح/ وقد جمع السمهودي (ت ٩١١ هـ) في كتابه وفاء الوفاء أكثر النصوص السابقة كما أشرنا إليها.

ط/ وفي كتاب السيرة الحلبية لعلي بن إبراهيم الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ)

(١) اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥٠.

(٢) الأندلسي؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: جوامع السيرة ص ٣٥٧.

(٣) أبو الفداء؛ عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر ١/ ١٩٢.

(٤) السخاوي؛ شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ٤٤.



جاء: «وجالت الخيل في مسجد رسول الله (ﷺ) وراثت بين القبر الشريف والمنبر! واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره! ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم خَوْلاً أي عبيدٌ له إن شاء باع وإن شاء أعتق! حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله فضرب عنقه»^(١).

ي/ وأما السيد محمد البرزنجي الحسيني، فقد كتب في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة (ت ١١٠٣ هـ) «وَقُتِلَ من وجوه الناس أكثر من سبع مئة من قريش، ومن أخلاط الناس من الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وسبوا الذرية، واستباحوا الفروج، وأجبلوا أكثر من ألف امرأة من الزنا، وسمي أولادهن أولاد الحرّة، وربطوا الخيل بسواري المسجد الشريف، وجالت الخيل فيه، وراثت، وبالت بين القبر الشريف والمنبر»^(٢).

وقد نقلت قسمًا مما ذكره المؤرخون من مدرسة الخلفاء ولم أتعرض إلى ما ذكره مؤرخو الإمامية، في رد غير مباشر على ما زعمه البعض من أن حوادث الواقعة بالغ فيها «الرافضة» حسب تعبيرهم! وكأنهم بذلك يقولون، وقع ما وقع ولكن ليس بهذا المقدار.. وكأن المقدار الذي حصل لا مشكلة فيه! وسيأتي تفصيله في الملاحظات الآتية.

(١) الحلبي؛ علي بن إبراهيم بن أحمد: السيرة الحلبية ١ / ٢٣٩.

(٢) البرزنجي الحسيني؛ محمد بن رسول: الإشاعة لأشراط الساعة / ٧٠.

♦ ملاحظات حول الواقعة:

١/ قد ذكر أكثر المؤرخين أن معاوية بن أبي سفيان، قد أوصى ابنه يزيد بأن لأهل المدينة منه يوماً فإذا حصل ذلك اليوم فليرمهم بمسلم بن عقبة! وقد ذكرنا في صفحات سابقة أن هذا الأمر يسوقه المؤرخون لا سيما من أتباع الاتجاه الأموي في سياق التبجيل لمعاوية، وأنه خبير بالمستقبل وعارف بما سيقع، ولقائل أن يقول إذا كان ذلك صحيحاً وأنه أمره بأن يرميهم بمسلم بن عقبة وهو بلا شك يعرف صفاته، فاختياره ذلك يحمله شيئاً غير قليل من مسؤولية الجرائم التي حصلت في وقعة الحرة! إذ كان بإمكانه أن يأمره بالرفق بهم واحتمالهم، أو تولية شخص ممن عرفه بالموادعة واللين لا بمثل هذا السفاك الأثيم الذي يتقرب إلى الله بقتل جيران النبي الكريم.

ونذكر هنا بملاحظة قلناها بشكل مفصل في كتابنا «عصبة الإثم» وهي أن أتباع هذا الاتجاه يبرؤون الأمر الأول ويلقون باللوم على المنفذ المباشر، مع أن هذا إنما كان عصاً في يد ذاك، وسيقال له. ولولا أمره الأمر الرئيس لكان لا يستطيع أن يذبح دجاجة! وهم هنا كذلك فيلقون اللوم على مسلم بن عقبة، ويذمون! لكن من دون أن يتعرضوا لمسؤولية يزيد فضلاً عن والده! وكأن يزيد في هذه الواقعة كان حمامة السلام!

٢/ ثم إننا لاحظنا أن كتب وكتاب هذا الاتجاه بنفس المقدار الذي تفتعل فيه معاجز لبني أمية وجيشهم وكرامتهم على الله (!!)، لا تنسى أن تشوه صورة أهل المدينة وتظهرهم بمظهر البغاة الظالمين! لكي



تقول من طرف خفي إنهم يستحقون ما أصابهم ! فهم في نفس الوقت الذي يقولون فيه إن أهل المدينة بعدما خلعوا بيعة يزيد قاموا بوضع القطران والجيف في كل ماء على طريق الشام وغوروه خوفاً من جيش يزيد! فهم إذن أفسدوا المياه والآبار على كل الناس في هذا الطريق الذي يزيد عن ألف كيلومتر.

وفي المقابل فإنهم يذكرون أن جيش أهل الشام لم يحتاجوا إلى الاستقاء من هذه الآبار لأن الله سقاهاهم طول الطريق من المطر وأرسل عليهم السماء!

ويتعجب الناظر في هذه الروايات فهل كان لأهل المدينة والثائرون منهم بضع مئات، لجان وهيئات تذرع طريق المدينة إلى الشام وهم يسحبون الجثث ويحملون القطران لكي يلقوه في الآبار من غير حسيب ولا رقيب؟ ثم إذا استطاعوا ذلك فيما حول المدينة وأطرافها فكيف يستطيعونه في ما يبعد مئات الكيلومترات عنها؟

وأعجب من ذلك هو الكرامة الإلهية التي خصها الله في زعمهم بالجيش القادم للفتك بأهل المدينة والمخيف لأهلها^(١) والسالب لأموالها والمعتدي على نسائها، حيث بزعمهم جعل الله المطر طوع أمره متى احتاجوا إلى الماء استقوا من السماء بلا حاجة إلى بئر أو نبع!

(١) الصنعاني؛ عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق ٨ / ٥٦١: «عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بَسْءًا، فَأَذْبَهُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ فِي النَّارِ، وَكَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَكَمَا تَذُوبُ الْإِهَالَةُ فِي الشَّمْسِ» وأشد منه ما ذكره في الطبقات الكبير ٥ / ٣٦٢: «عن السائب بن خالد أن رسول الله، ﷺ، قال: مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». وغيرها من الأحاديث في مصادر أخر.

٣/ كذلك فإن الطابع العام لذوي الاتجاه الأموي، في تناول هذه الواقعة، يميل لإنكار ما حصل و تهوين ما وقع في المدينة واختصاره، وتبرير ما حصل إن لم يمكن ما سبق. فترى ابن كثير مثلاً يقول: «ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه، وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة، لم يذكروا عن يزيد - وهم أشد الناس عداوة له - إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر، وإتيانه بعض القاذورات، لم يهتموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض، بل قد كان فاسقاً، والفاسق لا يجوز خلعه؛ لما يؤدي ذلك إليه من الفتنة ووقوع الهرج، كما وقع زمن الحرة»^(١) فابن كثير لا ينسى أن يشتم الروافض الذين يتهمون يزيد بالزندقة، (والحال أنه التقي النقي !!)، وإنما ذكروا عنه (هكذا ذكروا عنه من دون أن يثبتها) شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات (والتي لا يتسع وقت ابن كثير لبيانها)، نعم كان فاسقاً يقول ! والفاسق لا يجوز خلعه! عنده.. ولا ينسى أن يطعن في أهل الحرة الذين سبوا الفتنة ووقوع الهرج والفوضى!

ويكفي للمتأمل أن ينظر إلى أغلب الطبقات المتأخرة للمصادر التي ورد فيها تفاصيل مريعة عن جرائم الجيش الأموي في المدينة مما ذكرنا جزءاً منه في صفحات ماضية، فإن هذه الطبقات التي أعيد تحقيقها مرة بعد أخرى لم تغفل أن يعلق عليها محققوها، تكذيب تلك التفاصيل، واتهام الشيعة بأنهم وراء هذه الروايات ! مع أن أكثرها هي من غيرهم ! فهل الزهري من الشيعة وهو الراوي الأصلي؟ أو الواقدي؟ أو ابن قتيبة أو ابن الجوزي؟ أو ابن حزم؟ إن بعض هؤلاء أشد من غيرهم في موقفهم المضاد للشيعة وهم الذين نقلت عنهم هذه التفاصيل. على

(١) ابن كثير؛ إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية ١١ / ٦٥٢.



أنه لو كان الناقل شيعياً فلا يضره ذلك ما دامت القرائن قائمة على صدق مقالته!

وربما يتبادر إلى الذهن أن هدف التحقيق لهذا الكتاب أو ذاك مكرراً مع أنه طبع مراراً وبشكل محقق، وإعادة تحقيقه من جديد وصرف الأموال في ذلك، قد يكون لنفي مثل هذه الأخبار أو توجيهها وتبريرها!

فانظر إلى كتاب السخاوي فإن الطبعة الأخيرة التي حققها مركز دراسات المدينة، كان المهم فيها نفي مثل تلك الأخبار أو تبريرها إن لم يمكن نفيها! وهكذا الحال في كتاب البحور الزاهرة في علوم الآخرة وغيره، فقد علق محقق الكتاب الأخير في الهامش على حوادث الحرة التي نقلها المؤلف بأنه «ينبغي التنبيه أن كثيراً من تفاصيل هذه الواقعة وأمثالها يستند على روايات لا يوثق بها، فبعض الأحداث الواردة هنا رواها الطبري في تاريخه من طريق أبي مخنف لوط بن يحيى وهو تالف لا يوثق به كما قال الذهبي في الميزان ٣/ ٤١٩. وأيضاً فإن الشيعة كان لهم دور في صياغة هذه الأحداث تاريخياً بما يوافق هواهم».

ومثل ذلك ما ذكره محقق كتاب الطبقات لابن سعد، فقد علق على ما ذكره بالقول: «غير أنه مما ينبغي التنبيه عليه أن هذه الحادثة قد بولغ في وصفها وفي عدد القتلى الذين قتلوا فيها. وأن جنود الجيش وقعوا على النساء. وافتضوا الأبقار. فولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج. وأجهز على الجرحى. وقُتل المدبر. وجالت الخيل في مسجد رسول الله (ﷺ). وبالت وراثت بين القبر والمنبر. وانقطعت الصلاة في المسجد أربعين يوماً. وخلت المدينة من أهلها. وتركت الثمار للعوافي. إلى غير ذلك فهذا أمر لا يحتمل وقوعه. ولا تقبله طبيعة المجتمع».

ولا سنن العادة. لا سيما مع قرب العهد بالرسالة. ولم ينقل أن مثل هذا الفعل من انتهاك الأعراض. والإسراف في القتل. وقع مع الكفار. فكيف يتصور وقوعه مع المسلمين. وفي دار النبوة والهجرة؟! والحادثة لا شك أنها كبيرة ومؤسفة وخطأ جسيم. ولذلك أجمع السلف على تسمية مسلم بن عقبة مسرفاً. ولكن هذا لا يجعلنا ننفي أصل الحادثة وهو إباحة المدينة بعد توارد الأدلة على ثبوتها»^(١).

٤/ ومن الاختصار المخل؛ ذكر وصية يزيد لمسرف بن عقبة، ورسالة مسرف إليه بعد انتهاء ملحمة الانتقامية، فإن بعضهم قد ترك ذكر رسالة مسرف رأساً ولم يشر إليه حتى بإشارة، مع أن فيها إثبات تفاصيل من الوقائع، وإثبات أن ذلك كان بناء على وصية يزيد وتوجيهاته وأنه التزم بها التزاماً كاملاً!

وبالعوض ذكر وصية يزيد إليه «منزوعة الدسم» مع أن أصلها فيه كل التعليمات، وهذا حاصل من السابقين والمعاصرين وبعضهم قد جمع الأساليب الثلاثة في واحد، فقد خفف النصوص، ونفى بعض الجرائم طراً، وبرر بعضها الآخر، ففي كتابه عن الدولة الأموية قال د. علي الصلابي في نقل وصية يزيد لمسلم بن عقبة: «ادع القوم ثلاثاً، فإن رجعوا إلى الطاعة، فاقبل وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً، ثم اكفف عن الناس»^(٢)!

ثم حين جاء إلى التفاصيل (لإباحة المدينة) رأى أن هذه مبالغات

(١) هامش محقق الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة ٦٥ / ٢.

(٢) الصلابي؛ علي محمد: الدولة الأموية عواملُ الازدهار وتداعيات الانهيار ١ / ٥٣٠.. أقول كأنَّ إباحة المدينة ثلاثة أيام شيء عادي! وأن الجنود مثلاً كانوا يتمشون ويشمون هواء المدينة!



فقال: «ومن الغريب تلك المبالغات التي أوردتها البعض في تقدير نسبة القتلى من المدنيين؛ فمثلاً هناك رواية الواقدي والتي أخذ بها غالب المتقدمين والمتأخرين، قال الواقدي: عن عبد الله بن جعفر قال: سألت الزهري: كم بلغ القتلى يوم الحرة؟ قال: أما من قریش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس فسبعمئة، وسائر ذلك عشرة الاف، وأصيب بها نساء وصبيان بالقتل. والسند عن الواقدي؛ وهو متروك، ثم إنه عورض بسند أصح منه، وهي رواية مالك، فتعتبر رواية الواقدي رواية منكراً لا يعتمد عليها في تقدير عدد القتلى، ولقد أنكر ابن تيمية صحة ما ذكر الواقدي، واستبعد أن يصل العدد إلى هذا الحد^(١)».

وأضاف الصلابي في دفاعه منكر انتهاك الأعراض وأنه لم يقع: «لم نجد في كتب السنة أو في تلك الكتب التي ألفت في الفتن، وكذلك لم نجد في المصدرين التاريخيين المهمين عن هذه الفترة وهما (الطبري والبلاذري) أية إشارة لوقوع شيء من ذلك، وهما قد اعتمدا على روايات الأخباريين المشهورين؛ مثل: عوانة بن الحكم، وأبي مخنف الشيعي وغيرهما، وأول من أشار إلى انتهاك الأعراض: المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ؛ حيث قال المدائني: عن أبي قرة عن هشام بن حسان قال: وكُدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج، ويعتبر ابن الجوزي هو أول من أورد هذا الخبر في تاريخه، وفي رسالته الخاصة التي ألفها في الطعن على يزيد بن معاوية وإظهار مثالبه، وقد نقلها عن ابن الجوزي السمهودي مؤرخ المدينة المتوفى في القرن العاشر الهجري. ويبدو أن الطبري، والبلاذري، وخليفة بن خياط وغيرهم، لم يقتنعوا

(١) (وهل كان متوقفاً من ابن تيمية أن يسجل هدفاً في مرمى الأمويين، وهو من نفس الفريق؟)

بصحة هذا الخبر، فإنهم قد أعرضوا عنه ولم يدخلوه في كتبهم، ولا يوجد خبر صحيح الإسناد في حادثة الاغتصاب المزعومة، وقد ورد في دلائل النبوة للبيهقي من طريق يعقوب بن سفيان قال: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير بن المغيرة قال: أنهب مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، فزعم المغيرة أنه افتض فيها ألف عذراء، ومن الجدير بالذكر أن كل من أورد خبر انتهاك أعراض أهل المدينة في معركة الحرّة قد اعتمد على رواية يعقوب أو رواية المدائني فقط، وكلاهما لا تصح ولا تثبت». ثم أضاف: «وقد أطلق العنان بعض الكتاب لرغبتهم وأهوائهم، ولم يستندوا إلى أي دليل، والروايات المتعلقة بالاغتصاب لا يمكن الاعتماد عليها، ثم إن القرائن المصاحبة لمعركة الحرّة تنفي وجود أي نوع من الاغتصاب، وقد رأينا أن الروايات الحسنة التي ذكرت انتهاب المدينة وأثبتناها في موضعها، لم يرد فيها ذكر لانتهاك الأعراض. إن روايات انتهاك أعراض نساء المدينة لا أساس لها من الصحة، وإنها روايات جاءت متأخرة، وبدافع حزبي بغیض، يتخذ من الكره والتعصب ضد التاريخ الأموي دافعاً له، وتهدف إلى إظهار جيش الشام، الذي يمثل الجيش الأموي جيشاً بربرياً لا يستند لأسس دينية أو عقائدية أو أخلاقية، وهذا الاتهام لا يقصد به اتهام الجيش الأموي فقط، بل إن الخطورة التي يحملها هذا الاتهام تتعدى إلى ما هو أعظم من مجرد اتهام الجيش الأموي، إلى اتهام الجيش الإسلامي الذي فتح أصقاعاً شاسعة في تلك الفترة...»^(١)

وتعليقنا على هذا الكلام الطويل، بأن لصق التهمة بالشيعية وهي التهمة الجاهزة لكيلا ينظر القارئ في الحقائق، غير نافع، فقد ذكرنا

(١) المصدر نفسه: ١ / ٥٣٥.



كلمات بعضهم ممن يعتبر متعصباً ضد الشيعة وقد أثبت ما ينكره الكاتب المذكور.

والحقيقة أن هؤلاء إنما نقلوا واقع ما حدث، ولكن المتأخرين حيث رأوا أنه ينتهي إلى اتهام الجيش الأموي (الحنون!!) والخلافة الأموية وأوامر الخلفاء الفاسقين، وهذا خط أحمر لا يتحملة هؤلاء الكتاب المدافعون، فلا طريق لهم إلا إنكار ذلك واتهام الشيعة بأنهم اخترعوها، وإلا فالجيش لم يغتصب أحداً، ولا أعلم ماذا كان يفعل طيلة ثلاثة أيام والمدينة مستباحة ولا يُسأل أي جندي عما يفعل؟ مع أن الغالب أن أول ما يفكر به الجيش الغازي بعد الانتصار هو هذا الجانب!

ونفس التهمة الجاهزة «كذبة الشيعة» التي هي حبل النجاة لهم أمام كل رواية تعكس شناعة الواقع، هي التي تمسك بها الصلابي في نفي شماتة يزيد بما حصل! وهو الأمر الذي ذكره البلاذري ولا أحد يحسبه على الشيعة، فهو الذي نقل: «وقال يزيد بن معاوية حين بلغه خبر وقعة الحرّة:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل»^(١)

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٥١/٥: بينما قال الصلابي ولما بلغ يزيد خبر أهل المدينة وما وقع بهم قال: واقوماه، ثم دعا الضحّاك بن قيس الفهري فقال له: ترى ما لقي أهل المدينة، فما الرأي الذي يجبرهم؟ قال: الطعام والأعطية، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته. وهذا خلاف ما ذكره كذبة - الشيعة - عنه من أنه شمت بهم وتشقى بقتلهم، وأنه أنشد من شعر ابن الزبّعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

نقول للدكتور المذكور: ما شاء الله! زاحم يزيد نفسه بأن قال: واقوماه! وأجهد قلبه الرقيق! على ما أصابهم! وكأنه أرسل إليهم مسرفاً بن عقبة لكي يطعمهم الحلوى والعسل! وكأن المشكلة ليست في تلك الانتهاكات والجرائم وإنما هي في كذبة الشيعة من قولهم أنه شمت فيهم!

فهل كان البلاذري من كذبة الشيعة؟

وهل كان أبو حنيفة الدينوري من كذبة الشيعة حين أثبت ذلك في كتابه الأخبار الطوال؟^(١) وهل كان الطبري من كذبة الشيعة وهو ينقل كتاب المعتضد العباسي الذي فيه أن يزيد أنشد هذا الشعر شامتاً بقتلى أهل المدينة؟^(٢)

٥/ إن الحاصل من مجموع الكلمات التي ذكرناها عن المؤرخين، مع عدم تتبعنا الكامل لكل المصادر التاريخية، أنه حصل، قتل للصحابة وأبناء الصحابة بأعداد كبيرة، وفيهم أكثر من سبعمائة من قريش والأنصار ومن الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وأنه ولدت الأبنكار أولادا ولم يعرف أبأؤهن، وأنه ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج، وأن بعض النساء قد عاتبت من رأت امرأة من قريش تقبل أسود، فأخبرتها أنه ابنها وقد وقع عليها أبوه يوم الحرة في إشارة إلى أنه ليس ولدًا شرعيًا! وأن جيش مسرف بن عقبة كان يقتلون الناس ويفسقون بالنساء، وأنه قد استبيحت الفروج فافضت ألف عذراء. وسمي أولادهن أولاد الحرة.

وكان نصيب المسجد النبوي من الإهانة القدر الأكبر فقد جالت الخيل فيه، وربطوها بسواري المسجد الشريف، وراثت، وبالت بين القبر الشريف والمنبر. بل ذكر بعضهم أن الكلاب دخلت في مسجد رسول الله (ﷺ).

٦/ إن من جملة ما ركز عليه أتباع مدرسة الخلفاء هو تعظيم دور

(١) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢٦٧.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ٦٠ / ١٠.



عبد الله بن عمر الذي رفض خلع يزيد بن معاوية واعتبر ذلك غدرًا وأوردوا عنه أنه «لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ، حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ: يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ غَدْرًا أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلَا بَايَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِلَّا كَانَتْ الْفَيْصَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ»^(١) رواه البخاري. وبطبيعة الحال فإن تبجيلهم لهذا الموقف وذكر هذا الحديث وأمثاله يشير إلى أن أهل المدينة كانوا أهل غدر! وأنهم يستحقون بالتالي ما أصابهم، بل إنه لا يوجد غدر أكثر من هذا! وأنهم يوم القيامة ينصب لهم لواء الغدر!

وهم وإن كانوا لا يقولون هذا بالصراحة فإن مؤدى هذا التبجيل والاستشهاد بالموقف والقول، ينتهي إلى ما ذكرناه. وبناءً عليه فلا ينبغي أن يترحم على الغادرين! ولا ينبغي أن يُلام مسرف بن عقبة فيما ارتكب منهم! ولا ينبغي أن يعاتب يزيد أو غيره على ما فعل في أهل المدينة بعدما كانوا غادرين!

ولسائل أن يسأل: لماذا لم يتذكر عبد الله بن عمر هذا الحديث وهذا الموقف عندما رأى جيش الجمل وأبطاله يجتمع من مكان إلى مكان لمواجهة من بايعوه بالرضا والاختيار وهو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؟ فكيف صار الخروج على يزيد الفاجر الفاسق من قبل أشخاص أجبروا على مبايعته إن حصلت بيعة منهم له صار الخروج عليه مع تهديده للدين غدرًا ويستوجب الوقوف يوم القيامة تحت لواء الغادرين، ولم

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري ٦/٢٦٠٣.

يكن الخروج على الإمام التقي الوصي للنبي من قبل من بايعه مختاراً ومن غير إكراه وشفق على يمينه، لم يكن هذا الخروج غدرًا.. هل أن باء يزيد تجر وباء الوصي لا تجر؟

ثم متى بايع هؤلاء؟ وهل كان لأحد أن لا يبايع؟ إن من هو أعلى منزلة من كل الناس وهو الحسين (عليه السلام) حين رد البيعة ورفضها، رأى الناس ما الذي جرى عليه. وحين تخلف ابن الزبير عنها كان له نفس المصير وهكذا.. فضلاً عن سائر الناس!

وقد بينّا في ملاحظتنا في موضوع ازمة نظرية الخلافة عند مدرسة الخلفاء هذا الأمر وأن القضية في نهايتها هي خلافة الغلبة والقوة، وأن من بيده السلاح هو الخليفة! وأنه حتى لو فسق الفسق البين فلا ينزل وأي شخص يقوم في وجهه سيقال هذا غادر وشاق لعصا الطاعة ودمه حلال.. بل حتى لو ألحد كما حصل من يزيد فالأمر كذلك إما بإنكار الأمر وما أسهل الإنكار، واتهام الرافضة بأنهم هم الذين رووا هذه الروايات وهذا يكفي لبطلانها! أو الاعتماد على أن خلعه يسبب الفساد والهرج والفوضى! ولم يعلموا أن أكبر الفوضى هو أن يكون الظالم الفاسق الجائر إماماً للأتقياء والمؤمنين!

٧/ الموقف الأخلاقي الرائع للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام):
يضيء لنا أئمة الهدى بمواقفهم الرائعة طريق ظلمات التاريخ، فينمنا نجد أن الانتقام الشخصي والعداوات الفردية هي التي تحرك كثيرا من صراعات السلاطين والسياسيين حتى صاروا تجسيدا لما قاله الشاعر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيه
ولعل ما عبر عنه ابن الزبير في كتمانته بغض بني هاشم أربعين سنة

هو من هذا! وما فعله عبد الملك بن مروان بالأموي الآخر عمرو بن سعيد الأشدق، وغير هؤلاء كلها نماذج على محركة الحقد الشخصي من هذا لذاك!

وفي هذه الظلمة يضيء مصباح أهل البيت ليقول للناس إن الحقد والكره الشخصي لا محل له، فقد كان بإمكان الإمام السجاد (عليه السلام) ومعه بنو هاشم — لو كان من اللاعبيين السياسيين — أن يستغل فرصة الانتفاضة ضد يزيد من أهل المدينة وأن يتزعم الحركة لينتقم لمقتل أبيه وأهل بيته.. أو على الأقل لا يتساعد مع الأمويين الذين تولوا كبر تلك الجريمة، لا سيما وقد هاجمهم أهل المدينة وحاصروهم، بمن فيهم الرجال والنساء والأطفال. وهو الموقف الذي اتخذه غير واحد ممن كان يأكل على موائدهم..

لكن الإمام إمام! وكفى!

ذلك أن «مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في أن يغيب أهله عنده، فلم يفعل، فكلم علي بن الحسين، فقال: إن لي حرمًا وحرمي تكون مع حرمك. فقال: أفعل، فبعث بامراته، وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان، وحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج علي بحرمة وحرم مروان إلى ينبع»^(١).

هذا مع أن مروان هو صاحب المواقف المعروفة من أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، والحسن المجتبي، وليس آخرها أمره الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بأن يقتل الحسين في مجلسه إن أبى البيعة، وإذا لم يفعل الوليد فليسمح له أي لمروان بأن يقتل الحسين!

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٢١٣.

وكان كل موقف من تلك المواقف الكثيرة السيئة لمروان تجاه والد زين العابدين وعمه وجده كفيلاً بإثارة حسن الانتقام ولا أقل عدم التعاون معه وأن يعتذر كما اعتذر غيره.. لكن كما قلنا الإمام وكفى! فهو امتداد أجداده الطاهرين الذين جاؤوا لإنقاذ البشر من شرور أنفسهم ومن شرور بعضهم لبعض!

ولم يقتصر الأمر على مروان وحده بل «ضم علي بن الحسين إلى نفسه أربع مائة منافية بحشمهن يعولهن إلى أن تقوض جيش مسلم فقال امرأة منهن: ما عشت والله بين أبي مثل ذلك التريف»^(١).

فأين هذا وما فعله بنو أمية بنساء الحسين وأصحابه، وأطفالهن في رحلة السبي التي استغرقت أربعين يوماً ما بين كربلاء والكوفة والشام والمدينة؟

وشتان ما كان التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح.

٨/ ثم إن ذات الاتجاه وكتابه سعوا بجهد لإظهار أن الإمام زين العابدين لم ينقض بيعته يزيد، وأن عمه محمد بن الحنفية أنكر على أهل المدينة أن يكون يزيد تاركاً للصلاة أو أنه يشرب الخمر، وأنه أقام عنده فما رأى شيئاً مما يذكرون! وأن ابن عباس كذلك..

وهذا من طرق الكرّ بعد الفرّ.. فهم لا يستطيعون أن يصحروا بأنهم مع يزيد وبأنه بريء من الجرائم، وأنهم ضد ثوار المدينة بالصراحة والنقد، فيلجؤون إلى الاقتراض من الغير وينسبون لهم مواقف تنفعهم في ما يريدون!

(١) الزمخشري؛ جار الله محمد بن عمر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ١/ ٣٥٣. وفي لسان العرب ٩/ ١٧: الترفُّ: التَّعَمُّ، والتَّرفُّةُ النَّعْمَةُ، والتَّريفُ حُسْنُ الغِذاءِ.



فأما عدم مجاهرة الإمام بالمخالفة ليزيد، وأن يكون في صف ثوار الحرة مع سلامة موقفهم فقد يكون ذلك لمعرفته بأن المدينة ليست المكان المناسب لإعلان المناهضة له والتاريخ يشهد أن ما من حركة معارضة نشأت فيها إلا وأمكن خنقها سواء أيام الأمويين أو العباسيين لجهات جغرافية واستراتيجية لسنا في محل الحديث عنها.

وأما ما ذكروه عن ابن الحنفية فهو لا يخلو من احتمالين بأن يكون النقل عنه كاذباً وهو الراجح جداً أو أن يكون ما ذكروه عنه صحيحاً.

فإن كان الأول فلا مجال للاستناد إليه، وإن كان الثاني وأن ما ذكروه عنه صحيح، وهو الذي لا نعتقه، فأقصى ما يكون هو موقف واحد من التابعين، ويوجد من أمثاله من التابعين، المئات. فلا الشيعة يعتقدون بإمامته ولا السنة! فما معنى التركيز على هذا؟ سيكون حاله في هذا (مع أننا لا نعتقد بصحة ما ذكروا عنه) كحال ابن عمر أو سعيد بن المسيب أو غيرهما!

وعلى فرض أنه قال ذلك، فيتعارض قوله مع قول الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، وهو إمام معصوم عند الشيعة وسيد شباب أهل الجنة عند الجميع وهو أعلم من ابن الحنفية، ولا يمكن أن يقدم قول ابن الحنفية على قول الإمام الحسين، بل إن الكلام في يزيد ليس في ارتكابه لهذه الجرائم والكبائر إنما في إيمانه بالله أو إلحاده كما ذكر المحققون من مدرسة الخلفاء.^(١)

وكذلك يتعارض قوله مع كل الذين ذهبوا من الوفد المدني وفي

(١) التفਤازاني؛ سعد الدين: شرح العقائد النسفية ص ١٠٣ قال في حق يزيد «نحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه - لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه».

طليعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل، فإنهم جميعاً أكدوا على شربه الخمر وإتيانه الموبقات وزناه بالمحرمات.. فلو فرضنا أن ابن الحنفية قد قال إنه لم يرَ من يزيد ذلك، فهذا لا يعارض قول من قال إنه يفعل ذلك وإنهم علموا ذلك منه.. وهذا نظير ما يقوله الرجاليون بأنه توثيق رجل إذا كان ينتهي إلى عدم العلم بكذبه، لا يعارض قول القائل بأنه كاذب، فإن الأول عدم علم بالسوء، والثاني علم بالسوء.. فلا يعارض الأول الثاني.

وأما الكلام المنسوب لابن الحنفية والذي نقله: ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) في مختصر تاريخ دمشق بهذا النحو: «مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية، فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيتم منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيتُه مواظباً على الصلاة، متحرياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنّة^(١)، قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر لي الخشوع؟ فأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فئسن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا.»^(٢)

(١) مثل هذه الصورة عن يزيد لم يدّعها له أشد الأميين حباً ليزيد، فحتى أولئك كانوا يقولون عنه إنه كان فيه تساهل في الواجبات والالتزامات الدينية، فهل صار هنا على ما ادعي من ابن الحنفية أنه مواظب على الصلاة متحرر للخير يسأل عن الفقه.. فأين هذا الكلام وكلام الإمام الحسين (عليه السلام) عن يزيد؟

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، وبالنظر إلى تاريخ وفاة مؤلف هذا الكتاب (٧١١هـ)، وملاحظة الناقلين عنه، فإننا أولاً لم نجد هذا الخبر في أصل الكتاب «تاريخ دمشق لابن عساكر ت ٥٧١هـ» والذي يفترض أن كتاب مختصر تاريخ دمشق لابن منظور هو ملخص لما جاء في ذلك الكتاب!، فلم نجد هذا الخبر قبل تاريخ=



ونقله عنه ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) وهو من هو في حب بني أمية والتبرير لهم، في كتابه البداية والنهاية ثم سار وسرى في الكتب والمصنفات ضمن الفكرة التي قدمناها، عنهم: لا نبرئ يزيد نقدًا وبالصراحة وإنما بالاقتراض وبتراكم النقاط!

وكأن من تأخر عن هذين قد وقعوا على كنز على حين غفلة فأخذوا ينفقون منه هنا وهناك! كالذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في كتبه المختلفة وابن كثير في البداية والنهاية.

والعجيب أن الأصل وهو كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) بمقدار ما بحثنا، لا يوجد فيه الحديث المذكور، ويفترض أن مختصر تاريخ دمشق هو اختصار لما جاء في الأصل.

ونحن نحتمل أنه تم وضع هذا الحديث على مراحل، ففي المرحلة الأولى كان الحديث فيه عن أن ابن عمر أشار إلى مسألة الغدر ولواء الغادرين، وقد تقدم الكلام عنه، ثم تُمم ذلك في المرحلة الثانية بذكر

= وفاة ابن منظور، فلا هو في كتب التاريخ كالطبري (ت ٣١٠ هـ) أو ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) أو غيرهما مع أن الكتابين فيهما تفاصيل واقعة الحرة! ولا في كتب الرجال والطبقات كأنسب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) والطبقات الكبرى لابن سعد البغدادي (ت ٢٣٠ هـ)! بل ولا هو في كتاب العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) الذي كان يبحث بين القش والتبن ليحصل على كلمة يبرئ فيها يزيد بن معاوية وعقد بابا بعنوان «الشهادة ليزيد له بالاستقامة والصلاح» وكان مثل هذا الخبر لو كان له حقيقة يعتبر بمثابة الكنز له، ومع ذلك لم يورده، نعم المحشي ومحقق الكتاب استند إلى ما جاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، والذي نقل الخبر عن مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ومن بعده شاع وانتشر. بل كأن بعض من نقله اختصره ولعله رأى فيه أثر الصنعة والافتعال خصوصاً في آخره حيث كانت العبارة فيها استدلال على براءة يزيد.. إنكم لشركاؤه.. الخ. ولذلك نحن نعتقد أن الخبر بتفاصيله هو صناعة ابن منظور.

أن ابن مطيع العدوي مشى لابن الحنفية وذكر ما في يزيد من مثالب، وأن ابن الحنفية رد عليه بذلك أنه رآه وأقام عنده ولم ير ما يذكرونه. والمرحلة الثالثة تم الاستدلال بالبأس فيه على أنه إن أخبركم وعلمتم بذلك فإنكم شركاء! وهو استدلال عليل، فإن من يترنم في الشعر بذكر الخمر ليل نهار كما في ديوانه، لا يحتاج إلى أن يكون شريكا له.. فقد قال عنه الحسين (عليه السلام) ويزيد رجل فاسق فاجر شارب الخمر.. فهل يمكن على هذا المنطق بالبأس أن يقال له إذا أخبرك بذلك فأنت شريكه وإن لم يخبرك فلا علم لك! وأنت تعلم أن هذا هراء من القول. فالمرحلة الثالثة هي صناعة متأخرة، وهي تافهة أيضا.

وقد أوضح الصلابي وهو من نفس المنهج في الدفاع المستميت عن يزيد هذه الطريقة بأن جمع علي بن الحسين وابن الحنفية وابن عباس في حلقة واحد وقال: «فهؤلاء أفضل آل بيت النبوة في زمانهم، ومع ذلك لم يخرجوا مع أهل المدينة، ومسوغات الخروج على يزيد عندهم هي أكثر من غيرهم»^(١). وهكذا يحاولون إسقاط ثورة أهل المدينة ولكن لا بالضربة القاضية وإنما بالنقاط. وهذه النقاط يستلفونها ويقترضونها من هنا وهناك! وهو فرع عما قاله ابن كثير «وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد، ولا بايع أحدا بعد بيعته ليزيد».

والعجيب أن الكاتب المذكور مع تبرئته يزيد، سيعتبر عبد الله بن الزبير أيضا خليفة شرعياً وأميراً للمؤمنين وأنه «رضي الله عنه» مع أن كلاً من أميري المؤمنين لو ظفر بالآخر لسلخ جلده! ولعل عبد الله بن حنظلة غسيل

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ٦٥٢.



الملائكة لو ظهر على يزيد لصار أيضاً عندهم أمير المؤمنين .. وهكذا.

٩/ وأخير الكلام حول شخصية الشهيد عبدالله بن حنظلة قائد حركة أهل المدينة ضد الأمويين: ومن الملفت للنظر أنه وأباه وجده قد تركوا في التاريخ أثراً، وخلدت أسماؤهم؛ كلٌ بنحو خاص. وكأنهم بذلك يجسدون قول الشاعر:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى

نعم؛ فجده هو أبو عامر الراهب الذي ذكره القرآن الكريم بالذم ونعته بالنفاق لأدواره السيئة مع أنه كان يتظاهر بالرهبانية بينما هو مكب على الدنيا إلى أذنيه، ومارس دوراً سيئاً وأعمالاً منكراً ضد النبي وكلها بزعم أنه يخدم الدين ومن أجل الله حتى لقد بنى مسجداً عرف فيما بعد بمسجد الضرار بما سمّاه الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ، وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً، لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١).

هذه قصة الجد لعبد الله، أبو عامر الراهب، عبد عمرو بن صيفي.

وأما الأب حنظلة فقد كان مصداقاً لقول الله (عَزَّ وَجَلَّ) ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فإذا كان أبو عامر الراهب، والد حنظلة وجد عبد الله قائد الثورة، قد وصف بما ذكره الله في الآيات السابقات، فإن ابنه حنظلة كان «غسيل الملائكة» وقد كشف عن تلك الكرامة سيد الأنبياء

المصطفى (ﷺ). ذلك أنه تزوج في شهر شوال ودخل بزوجه جميلة بنت عبد الله في ليلة كان صبيحتها نداء الرسول (ﷺ) للخروج إلى معركة أحد، ولم يسعه الوقت للانتظار حتى يتم الاغتسال ومناذي رسول الله بالجهاد يستحث الناس، فخرج للقتال، وقاتل حتى استشهد، وعندها «قال رسول الله (ﷺ): إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة.

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء. قال أبو أسيد: فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته، فأرسل إلى امرأته فسألها، فأخبرته أنه خرج وهو جنب»^(١) ومنذ ذلك الوقت عُرف بغسيل الملائكة، وأبناءؤه بأبناء الغسيل! وكأنما أراد الله سبحانه بهذا أن يغسل عنه وعنهم عار أبيه وجدهم أبي عامر الراهب صاحب مسجد الضرار! فشتان بين هذا الذكر وذاك!

وكان هذا الوالد بمثابة البلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، فأنجب عبد الله بعد تسعة أشهر ليبقى ذكر الأب بهذا الولد الذي عرف عنه التقوى وخشية الله تعالى، و«كان فاضلاً صالحاً، عظيم الشأن كبير المحل، شريف البيت والنسب، وسمع قارئاً يقرأ: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}، فبكى حتى ظنوا أن نفسه ستخرج، ثم قام فقيل: يا أبا عبد الرحمن، اقعدي، فقال: منع مني ذكر جهنم القعود، ولا أدري لعلني أحدهم»^(٢).

وإذا كان ما سبق هو في شأنه الخاص، فإن ما قدمه في الشأن

(١) الواقدي؛ محمد بن عمر بن واقد: المغازي ١/ ٢٧٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٧/ ٤٢٦.



العام أبقى ذكراً وأعظم أجراً وهي شهادته الدامية وموقفه البطولي في وجه الطغيان والانحراف اليزيدي! ذلك أنه قد بعث نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) فيه وفي غيره من المسلمين الغافلين عن جرائم بني أمية وخطرهم على الإسلام، روح الحياة وحب التضحية فداء عن الدين.

ولا غرابة أننا لم نجد له تاريخاً قبل واقعة الحرة في المصادر التي بين أيدينا من المدرستين، فما أكثر الناس الذين يعيشون حياتهم العادية حتى مع التزامهم الديني ثم تنطوي هذه الحياة، ولا يخلفون أثراً أو ذكراً. نعم يروى عنه بعض الأحاديث القليلة منها «دَرَهُمْ رَبًّا أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ زَيْتَةً». ولم نطلع على أحواله بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد توفي النبي وهو دون سبع سنين، وبطبيعة الحال فقد أدرك فترة مهمة من تاريخ المسلمين، لا نعرف عن مواقفه أو دوره إن كان له دور فيها شيئاً.

لكنه كان على موعد مع الذكر الجميل، بعد نهضة الحسين (عليه السلام) والتي هزت وجدان الأمة، وظلت هذه الأمة تمخض بأهلها، حتى تحركت في حركات متعددة، تفاوتت في نقائها وكدرها بحسب جوهرها.

وكان من النقي من تلك الحركات؛ حركة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة. وبالرغم من أن بعضهم ينسب إليه أنه بايع ابن الزبير، إلا أننا نشكك في ذلك، فلا توجد قرائن واضحة على هذا، لا في كلمات عبد الله بل ولا في كلمات ابن الزبير، وكذلك لا يوجد أي حركة من قبل ابن الزبير مثلاً في التحشيد لعبد الله بن حنظلة وثورة أهل المدينة مع أنه كانت هناك فترة زمنية كافية لو أراد.

ونعتقد أن ابن الزبير اكتفى منذ خروجه من المدينة إلى مكة، واتخذ لنفسه لقب «العائد بالبيت» ثم أعلن نفسه خليفة وأخذ يرسل الولاة هنا

وهناك، فإن قبلت المنطقة التي أرسل إليها واليه، وإلا لم يخسر شيئاً! وكان يحاول ضم كل من يؤيد خلافته بغض النظر عن خلفيته الدينية أو المذهبية، المهم أنه يبايع! ومع كل هذا لم نجد له حركة في اتجاه تأييد حركة أهل المدينة بقيادة ابن حنظلة غسيل الملائكة.

نعم، فقد تولى المدينة صهر يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو كما سبق لم يكن له أي مؤهل ليتولى قيادة مدينة رسول الله (ﷺ)، وفيها بقايا صحابته والتابعون لهم من أبناء الصحابة، وفقهاء الإسلام.

ويبدو أن المدينة كانت تتموج على وقع المناقشات حول شرعية يزيد، وجرائمه، وما يرتبط بابن الزبير الذي بدأ بالتدريج يعلن عن طموحه للخلافة وكان يدعو لنفسه سرّاً، ففكر هذا الوالي في أن يرسل في آخر سنة ٦٢ هـ وفداً إلى دمشق لكي يقابلوا يزيد ويعطيهم الأموال ويشترى صمتهم بذلك بل تأييدهم!

«فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجالاً كثيراً من أشرف أهل المدينة، فقدموا على يزيد، فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، فأعطى عبد الله بن حنظلة، وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيّداً، مائة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين، فأعطى كل ولد عشرة آلاف.

فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير، فإنه قدم العراق على ابن زياد، وكان يزيد قد أجازة بمائة ألف، فلما قدم أولئك نفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعييه وقالوا: قدمنا



من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطناير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب، وهم اللصوص، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه»^(١).

وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال: جئكم من عند رجل لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت منه عطاء إلا لا تقوى به.

أقول: وبعض مصادر مدرسة الخلفاء تركز على أن يزيد أكرمهم وأعطاهم الأموال، ومع ذلك فقد انقلبوا عليه وثاروا ضده، وكأنهم بذلك يريدون القول: إنهم ناكرو الجميل، وغادرون!

وفي كلام عبد الله بن حنظلة السابق، ما يرد على هذه الفكرة! وأن هذا «الصابون» لا يمكن أن يغسل تلك الوساخات السابقة المذكورة من أفعاله!

ونسب إليه القول: «فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً».

وقد مر في صفحات سابقة، كيف جهز يزيد جيشاً ضخماً وجعل عليه مسلم بن عقبة المري، والذي لقبه المؤرخون بعد هذه الحادثة تارة بمجرم وأخرى بمسرف. وإلى مَ انتهى هذا الجيش من الفظائع.

وأما عبد الله بن حنظلة فكان موته حسينياً، فإنه قدم أولاده وكانوا ثمانية كما قيل، بين يديه شهداء، ثم قاتل حتى استشهد!

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٠٣/٣.

إننا نعتقد أن حركة عبد الله بن حنظلة كانت بمثابة إفاقة الضمير، وإعذار إلى الله سبحانه، ولم يكن يتوقع لا عبد الله ولا غيره أن تنتهي إلى نجاح بمعنى هزيمة جيش يزيد أو غيره، بل يمكن القول إنها حركة احتجاجية إيمانية قام بها هو وأنصاره ولم يكن يربهم الموت، وهم بهذا يشابهون التوابين في حركتهم الاحتجاجية، مع شيء من الاختلاف في المنطلقات لكل من الحركتين. ولم يكن هؤلاء ولا أولئك يتحدثون عن دولة أو انتصار أو ولاية أمر أو غير ذلك. والذي يعبر عن حركته وأهدافها هو هذا النص «فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً!» والواضح فيه أن خروجهم هو وجوب شرعي لإنكار المنكر، حتى لو لم يوجد المناصر! وليكن بعد ذلك ما يكون فالمهم عنده هو أن يخرج من عهدة التكليف الشرعي!

١٠ / أسباب الهزيمة العسكرية التي حلت بأهل المدينة في الواقعة متعددة، لكن وجود بعض أهل المصالح الطالبيين للدنيا، وهذا طبيعي في كل حركة، ولكن بعضهم هنا كانوا في مركز القيادة ومنهم مثلاً عبد الله بن مطيع العدوي الذي جعل في القتال قائداً لأهل قريش! وما أن نشبت المعركة حتى ولّى هارباً إلى مكة ليلتحق بابن الزبير! وقد تنبه إلى هذا بعض الأنصار كالنعمان بن بشير، فإنه وإن كان صاحب مصلحة وتابعاً لبني أمية إلا أن ما قاله في شأن ابن مطيع كان صحيحاً لمعرفة بشخصيته الانتهازية، حيث قال له، وقد لاحظت نذر المواجهة بين أهل المدينة والجيش الأموي: «أما والله لكأنني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم

وجباههم بالسيوف، ودارت رحى الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبها إلى مكة، وقد خلفت هؤلاء المساكين- يعني الأنصار- يقتلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم!

وهرب عبد الله بن مطيع حتى لحق بمكة»^(١)

كما أن وجود قبيلة بني حارثة في المدينة، وولاؤها لبني أمية، كان من العوامل التي ساهمت في انتكاسة أهل المدينة، ويشبه دور هذه القبيلة ما يقال من دور قبيلة بني أسلم التي حسمت الموقف لصالح الخليفة الأول في مقابل بني هاشم. «وذلك أن بني حارثة»^(٢) أدخلوا قوما من الشاميين من جانب الخندق، فترك أهل المدينة القتال ودخلوا المدينة خوفاً على أهلهم، فكانت الهزيمة، وقتل من قتل»^(٣).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/ ١٣٨.

(٢) كأن لهذه القبيلة تاريخاً في الخذلان فهم الذين ذكرهم القرآن الكريم بقولهم لرسول الله: إن بيوتنا عورة وكذبهم بقوله: وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً! ففي مغازي الواقدي ٢/ ٤٦٣: «واجتمعت بنو حارثة فبعثوا أوس بن قيطي إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا. فأذن لهم رسول الله (ﷺ)، فرجعوا بذلك وتهيأوا للانصراف. فبلغ سعد بن معاذ، فجاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله، لا تأذن لهم، إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا. ثم أقبل عليهم فقال لبني حارثة: هذا لنا منكم أبداً، ما أصابنا وإياكم شدة إلا صنعتهم هكذا. فردهم رسول الله (ﷺ)»

هذا في الخندق وفعلوا ذلك أيضاً في أحد فقد ورد في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٦:

«وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ فَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ، وَهُمْ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَغْشَوْا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ بَنِي سَلَمَةَ حِينَ هَمَّتْنَا بِالْفَسْلِ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا أَبَدًا». بالطبع هذا لا يعني أن كل شخص منها هو كذلك!

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ٥/ ٤٩٥.

التوابون بقيادة سليمان بن صرد



لتتضح الصورة عن حركة الثائرين بدم الحسين (عليه السلام)، وأول من رفعوا شعار (يا لثارات الحسين) في تاريخ المسلمين، والذين عرفوا فيما بعد بالتوابين،^(١) ولكيلا يقول قائل كما صنع ابن كثير الدمشقي في انتقاد أعمى لهم،^(٢) أرى أن نرجع إلى سنوات قبل نهضتهم تلك، وتحديدًا

(١) ربما يعترض البعض على تسمية هؤلاء «التوابين» ويرون أن أعداءهم هم الذين أطلقوا هذا اللقب عليهم، وكأن في التسمية إشعارًا بذنب قد ارتكبه، وهم يتوبون منه! ولا نعتقد بأن التسمية جاءت من أعدائهم، فإن مخالفهم سواء كانوا من الاتجاه الأموي أو غيره يعبرون عن أمثال التوابين بأنهم خرجوا على الخليفة! ولا يعطون لمخالفهم امتيازًا! ووجدنا في كلمات وخطب سليمان وقادة هذه الحركة ما يستفاد منه هذا الاسم فقد استشهد سليمان بن صرد بآية ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ في أول خطاب خاطب به من اجتمع إليه. نعم سيأتي أنهم لم يكونوا مذنبين بخذلان الحسين (عليه السلام) كما قد يتوهم بعض! وسيأتي تحقيقه في المتن، ويمكن أن نطلق عليهم التواقون للشهادة!

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٦٩٧/١١: قال ابن كثير «قلت: لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلة لكان أنفع له وأنصر من اجتماعهم لنصرته بعد أربع سنين»!

وأقول: هل أن ابن كثير بالفعل كان يتمنى أن يكون هناك عزم واجتماع منهم لنصرة الحسين في وجه يزيد؟



مع مجيء الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة المكرمة في شهر شعبان لسنة ٦٠ هـ، بعدما بويع ليزيد، وخرج الإمام (عليه السلام) لطلب الإصلاح في أمة جده أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وقد تقدم في صفحات سابقة إشارة إليه وفي غير هذا الكتاب تفصيل ذلك.

فلما صار في مكة وانتشر خبره في البلاد، اجتمعت الشيعة في الكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، وهو كما سيأتي في ذكر شيء من ترجمته من خلّص أصحاب أمير المؤمنين ووجه من وجوه شيعة أهل البيت في الكوفة، واجتماع الشيعة عنده وفي بيته للتشاور فيما يصنعون، وفي المرة التالية بعد مقتل الحسين (عليه السلام) للتداول في أمرهم يشير إلى موقعه القيادي والرمزي بين الشيعة الكوفيين. والمهم أن في ذلك الاجتماع قال لهم سليمان: «إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم لحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب ابن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود! إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والنعمان ابن

بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك»^(١).

وحمل الكتاب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال، وبعده حمل قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي وعمارة بن عبيد السلولي نحو ثلاث وخمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والأربعة. وتلا هؤلاء هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي.

وكان جواب الإمام (عليه السلام) الذي أعطاه لآخر من جاء من رسلهم: «بسم الله الرحمن الرحيم من حسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئا وسعيدا قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جللكم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام»^(٢).

وقد تطورت الأحداث بما شرحناه في أكثر من موضع من هذه

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٣٥٢ / ٥.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ٣٥٣ / ٥.



السلسلة، وخلاصته أن يزيد بن معاوية الذي وصلته أخبار عن مبايعة الناس مسلم بن عقيل في الكوفة نائباً عن الحسين، أرسل عبيد الله بن زياد من البصرة وقد كان واليها، إلى الكوفة لإنقاذ الموقف لصالح بني أمية، وجاء هذا الوالي الشرس، وعزل النعمان بن بشير وبدأ بجمع أنصار بني أمية، وتحريك القوة العسكرية والاجتماعية الموالية لبني أمية، وسيطر على العشائر والقبائل بنظام العرفاء، وهو أشبه بنظام المخابرات، وقتل جماعة من أعيان شيعة أهل البيت (عليهم السلام) كما بدأ بحملة واسعة من السجن والاعتقال لكل من يشك في أنه يمكن أن يناصر الحسين في الكوفة أو يلتحق به وقد بدأت تلك الإجراءات من يوم وصول ابن زياد إلى الكوفة واستمرت إلى ما بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وتسيير السبايا.

♦ سجن رؤوس الشيعة في الكوفة:

أرى أن توضيح هذا العنوان، وأن مطالعة القارئ العزيز له بدقة كافية، من الممكن أن يفتح الكثير من الأبواب المغلقة بل يجيب على الأسئلة المبهمة، وإن عدم معرفة ما في هذا العنوان وتفاصيله سوف يجعل كثيراً من الأمور غامضة، حتى إننا نجد مؤرخاً كابن كثير يقع في جهل لتعليقه الذي ذكرناه عنه، والذي قال فيه إن هذا الجمع ويقصد الناهضين بثأر الحسين و«التوابين» أو التواقين للشهادة، لو كانوا نصره في كربلاء لكان أنفع له!

ومع فرض صفاء النية وخلو الأمر من موقف نفسي، يقال لمثله: كيف ينصره سليمان وقادة الشيعة وهم رهن السجن المشدد الذي وضعهم فيه ابن زياد؟ وكيف يتحرك شباب أبناء القبائل من غير رابط،

ومن غير قائد؟ لا سيما مع النظام القبلي المعروف لدى أهل الكوفة في ذلك الزمان.

وقد تفاوتت التقديرات والأرقام في عدد من قام ابن زياد بسجنهم، فمن بين أكثر كما نقل العلامة القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين عن كتاب الدر المنثور، وأوصلهم إلى اثني عشر ألفاً وكان من بين المعتقلين سليمان بن صرد الخزاعي، والمختار بن يوسف الثقفي وأربعمائة من الأعيان والوجوه.^(١)

بينما نزل العلامة المامقاني في كتابه تنقيح المقال إلى حوالي ثلث هذا العدد، فإنه ذكر في ترجمة سليمان بن صرد، وأنه كان مسجوناً ضمن المسجونين، بأن «ابن زياد قد حبس أربعة آلاف وخمسمائة (٤٥٠٠) رجل من التوابين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأبطاله، الذين جاهدوا معه، منهم: سليمان - هذا - وإبراهيم بن مالك الأشتر، وابن صفوان، ويحيى بن عوف، وصعصة العبدى.. وغيرهم».^(٢)

وقد ذكر آية الله الميلاني ترجمة مختصرة لبعض من سجنهم أو قتلهم ابن زياد في كتابه: من قتل الحسين (عليه السلام)، وجاء فيه ما مختصره:

إن ابن زياد الذي استلم قراراً من يزيد بأن «قد بلغني أنّ الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظنّ، وخذ على التهمة» ووضع هذا الوالي الشرس على شرطته سمرة بن جندب، والحسين بن نمير، وقال له: «يا حصين بن نمير! ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكك الكوفة وخرج هذا الرجل - يعني

(١) القرشي؛ الشيخ باقر شريف حياة الإمام الحسين (ع) ٤١٦/٢.

(٢) المامقاني؛ الشيخ عبد الله (العلامة الثاني): تنقيح المقال في علم الرجال ١٨٩/٣٣.



مسلمًا (عليه السلام) - ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة» فأخذ قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الله بن يقطر فقتلتهما.

وأما الذين سجنهم فقد ذكر أن منهم:

١/ ميثم التمار. وفي بعض الروايات أن ميثمًا قد أخبر المختار بأنه سيبقى حيًا حتى يخرج ثائرًا بدم الحسين (عليه السلام) وأنه سيقتل قتلته، بينما ميثم نفسه سيكون شهيدًا.^(١)

٢/ المختار بن أبي عبيدة الثقفي. وقد سجنه ومعه ميثم بعد يومين أو ثلاثة من شهادة مسلم بن عقيل أي بحوالي عيد الأضحى سنة ٦٠ هـ أو بعده بيوم.

٣/ هانئ بن عروة المرادي؛ وهو زعيم مذحج وقصته في استدراج عبيد الله بن زياد إياه ثم حبسه في سجن قصر الإمارة، وقتله مع مسلم بن عقيل مشهورة ومعروفة.

٤/ عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي: وكان فارسًا شجاعًا، وشهد مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مشاهدته كلها، وكان من الذين بايعوا مسلمًا، وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين (عليه السلام) هو ومسلم بن عوسجة، فلمّا رأى مسلم بن عقيل اجتماع الناس عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وعلى ربع كندة وربيعة عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي. فلمّا تخاذل الناس عن مسلم قبض

(١) العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٥٠: «فلما أراد عبيد الله بن زياد أن يقتل المختار، وصل بريد من يزيد يأمره بتخليه سبيله، فخلّاه وأمر بميثم أن يُصلب، فلمّا رُفِع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث قال عمرو: قد كان والله يقول لي: إني مجاورك».

عليه الحصين بن نمير التميمي، فسلمه إلى عبيد الله بن زياد فحبسه. ثم قتله بعد مقتل مسلم بن عقيل.

٥/ عبيد الله بن الحارث الهمداني، أدرك الصعبة، وشهد صفين مع الإمام علي (عليه السلام)، وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين (عليه السلام)، فلمّا خرج مسلم رضي الله عنه خرج معه براية حمراء. فلمّا تخاذل الناس عن مسلم أمر عبيد الله بن زياد أن يطلب عبيد الله بن الحارث، فقبض عليه كثير بن شهاب فسلمه إلى ابن زياد، فحبسه مع من حبس.

٦/ عبد الأعلى الكلبى: كان فارساً شجاعاً قارئاً، من الشيعة، كوفيّاً، وكان هو وحيب بن مظاهر الأسدي يأخذان البيعة من أهل الكوفة للحسين (عليه السلام)، ثمّ خرج مع مسلم بن عقيل في من خرج. فلمّا تخاذل الناس عن مسلم، قبض عليه كثير بن شهاب فسلمه إلى عبيد الله بن زياد فحبسه مع من حبس. ثم قتل رضوان الله عليه.

٧/ العبّاس بن جعدة الجدلي، كان من الشيعة الذين بايعوا مسلم ابن عقيل رضي الله عنه في الكوفة، ومن المخلصين في الولاء لأهل البيت، وكان يأخذ البيعة من الناس للحسين بن علي (عليه السلام). فلمّا تخاذل الناس عن مسلم، قبض عليه محمد بن الأشعث الكندي فسلمه إلى ابن زياد فحبسه. وقتله ابن زياد بعد شهادة مسلم بن عقيل.

٨/ عمارة بن صلخب الأزدي كسابقه في الشرف والمنزلة، ولما تخاذل الناس عن مسلم ترصده محمد بن الأشعث الكندي واعتقله، وجاء به إلى ابن زياد الذي أمر بحبسه، ثم قتل إلى رضوان الله.^(١)

(١) الميلاني؛ السيد علي الحسيني: من قتل الحسين (عليه السلام) شيعة الكوفة؟ ص ٣٤٨.

وباختصار فقد عمل في الشيعة في الكوفة ما كان شعاره الدائم «وما تركت لكم ذا ظنة أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم» وهو نفس الشعار الأموي القديم: خذوهم بالتهمة واقتلوهم بالظنة!

٩/ وقد أشار العلامة المامقاني في ما نقلناه عنه آنفاً أن من بين الذين سجنهم ابن زياد، كان إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي.

١٠/ ومنهم كذلك صعصة العبدى،

١١/ وابن صفوان،

١٢/ ويحيى بن عوف.

١٣/ وعبد الله بن الحارث بن المطلب^(١) الذي أخبره ميثم التمار بأنه سيطلق سراحه.

هذا فضلاً عن الذين قتلهم ابن زياد قبل ميثم التمار ولم يذكر التاريخ أسماءهم، وهذا مقتضى قول ميثم لما أخذه ابن زياد للقتل أنه عاش عشرة يعني أن هناك تسعة قبله، فقد سأله المجرم ابن زياد «ما الذي أخبرك صاحبك أنني فاعل بك؟». قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة، وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة. قال: لنخالفنه. قال: كيف تخالفه؟ والله ما أخبرني إلا عن النبي (ﷺ)، عن جبرائيل، عن الله^(٢)

ونعتقد أن كل الشخصيات الشيعية التي كان لها اسم ودور في الكوفة، من أيام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وإلى أيام ظهور مسلم بن عقيل فيها،

(١) الحلبي؛ ابن نما: ذوب النصار ص ٦٨ حبس ابن زياد؛ عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب. وكان في الحبس ميثم التمار.

(٢) العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ٢٥٠.

كان هناك قرار بسجنهم، فإما أنهم سجنوا بالفعل أو اختفوا، أو التحقوا - وهم القلة - فيما بعد بالإمام الحسين (عليه السلام)، مثل حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة..

وهذه هي القاعدة الطبيعية التي يتبعها الحاكمون غير العادلين، وغير الخاضعين لدستور واضح وقوي! فإنهم يمهدون لأنفسهم مقدمات، من ضرورة الحفاظ على الدولة وأنها أهم شيء، وأن هذا يقتضي أن يضحى بالحريات الفردية لصالح الحفاظ على الدولة، فحتى لو اعتقل بريء، وصودر مال حرام، فإن هذا بمثابة مصلحة فردية ولا مانع من التضحية بها لصالح المصلحة الجماعية والحفاظ على الدولة والأمة!!

وهذا المبدأ الباطل الذي تأسس قديماً هو الذي لا يزال حاكماً في كثير من بلاد المسلمين!

وإذا أضفنا إليه ما كان قد أخذه ابن زياد من ضوء أخضر من يزيد بأنه مسلط على دور أهل الكوفة ويوتها، وبأن لا يتوانى عن سجن وقتل كل من به ريبة! ولم يكن يحتاج ابن زياد إلى ذلك فإن طبيعة شخصيته تقتضي ذلك! ولكن وجود ذلك التوجيه والإذن زاده اندفاعاً.

ونحن وإن كنا نعتقد أن ما ذكره العلامة القرشي رحمه الله، ناقلاً عن كتاب الدر المنثور من العدد (١٢٠٠٠) سجيناً هو عدد مبالغ فيه، خصوصاً لجهة المدة التي يفترض أنها فترة الاعتقالات، والتي بدأت بوصول ابن زياد للكوفة إلى شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي لا تزيد عن شهر ونصف، فيستبعد خلال هذه المدة أن يتم اعتقال اثني عشر ألفاً، ولكننا نعتبر أن الرقم الذي ذكر من أنه تم سجن حوالي (٤٠٠) من أعيان ووجوه الكوفة، معقول جداً، ونحتمل أن يكون هؤلاء هم



الذين شكلوا العمود الفقري لحركة الثأر التي قاموا بها فيما بعد مع سليمان بن صرد.

هذا كله كان قبل شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، والآن فإن سليمان بن صرد الخزاعي وعدد غير قليل من خُلص الشيعة هم في سجن ابن زياد. وكما أشرنا فإن قسما من هؤلاء السجناء قد تم قتلهم بعد عيد الأضحى وشهادة مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وقسم آخر بقي في السجن إلى ما بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام).

وكان من الذين بقوا ولم يقتلوا؛ سليمان بن صرد، والمختار الثقفي، وسيأتي حيثيات عدم قتل المختار عند الحديث عن حركته في الثأر لدم الحسين (عليه السلام).

♦ بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)

هزت شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، وجدان من سمع بها من المسلمين بشكل كبير، ولا سيما بالكيفية التي حصلت بها من قتله عطشاناً هو وأهل بيته وأنصاره، ثم وطء جسده بحوافر الخيل، وترك تلك الأجساد الطاهرة على الرمضاء من غير تجهيز أو دفن! وتسيير نسائه وعائلته سبايا إلى الكوفة ثم إلى الشام، فقد استفزع كل من سمع ممن له قلب سليم، هذه الحادثة الشنيعة وما جرى فيها! وضمن هذا الإطار فقد «تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم، ففزعوا إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة وهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة، والمسيّب بن نجبة الفزارى، وكان من خيار أصحاب عليّ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التيمي، ورفاعة بن شدّاد البجلي ثم القتباني، فاجتمع هؤلاء الخمسة النفر في منزل سليمان بن صرد،

ومعهم ناس من وجوه الشيعة، فابتدأ المسيب بن نجبة الكلام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد فإنّا قد ابتلينا بطول العمر فنرغب إلى ربّنا في أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ وقد بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في أمر ابن ابنة نبيّنا، وقد بلغتنا كتبه، وقد أتتنا رسله، وسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسراً، فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، فلا نحن نصرناه بأيدينا ولا خذلنا عنه ألسنتنا، ولا قوينا بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة من عشائرنّا، فما عذرنا عند ربّنا لا عذر والله أو نقتل قاتليه والموالين عليه، وإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه، وترجعون إلى أمره، وراية تحفون بها معه» (١).

ثم تكلم رفاعه بن شدّاد البجلي وعبد الله بن وال وعبد الله بن سعد بن نفيل والمسيب بن نجبة الفزارى بنحو كلام رفاعه بن شدّاد وذكروا أن خير من يتولى هذا الأمر هو سليمان بن صرد لسابقته، ولدينه وبأسه، والثقة برأيه وتدييره.

«فولّوه عليهم، وقتلوه رئاستهم، فخطب سليمان بن صرد فقال: إنّي أخاف ألا نكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية لما هو خير لنا، نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا، ونعدهم نصرنا، ونحثّهم على المصير إلينا فلما قدموا علينا ونينا وعجزنا وداهنا وتربّصنا، حتى قتل ولد نبيّنا وسلالته وبضعة من لحمه، فاتّخذوه الفاسقون غرضاً للنبيل ودريّة للرماح، فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله عنكم بأن تناجزوا من قتله وتبيروه، ألا ولا تهابوا الموت، فوالله ما هابه أحد قطّ إلّا ذل، وكونوا كتّوبي بني إسرائيل



إِذْ قَالَ لَهُمُ نَبِيُّهُمْ ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ ﴿١﴾ فَمَا فَعَلَ الْقَوْمُ جَثَوْا وَاللَّهُ لِلرَّكَبِ، وَمَدَّوْا الْأَعْنَاقَ، وَرَضُوا بِالْقَضَاءِ حِينَ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجِيهِمْ مِنْ عَظَمِ الذَّنْبِ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى الْقَتْلِ»^(١).

تشكلت إذن قيادة التواقين للشهادة، والذين شبههم سليمان نفسه بتوابي بني إسرائيل.

مع أننا نعتقد أنهم مع الظروف التي ذكرناها في الصفحات السابقة لم يكونوا قد ارتكبوا ذنب الخذلان، بعدما كان أكثرهم مسجوناً وغير قادر على التحرك بفعل الأحكام العرفية الجائرة التي فرضها ابن زياد. ولكن الشعور المتعاضم عندهم بالأسف والأسى على مقتل إمامهم الحسين (عليه السلام)، بلغ بهم هذا المبلغ.

وأما هدفهم فقد عبرت عنه كلمات مختلفة يجمعها قولهم «فلا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله عنكم بأن تنجزوا من قتله وتبيروه».

واستمروا يعدّون العدة، ويجمعون الأتباع ويحملون راية الانتصار لدم الحسين (عليه السلام)، طيلة أربع سنوات وقد تخلل هذه السنوات الأربع هلاك يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ، وانفرط جبل بني سفيان بموته. ولم يقتصر على دعوة أهل الكوفة للانضمام إلى حركة الثأر تلك، فقد «كتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنى بن مخزبة العبدي بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد بن حذيفة، فأجابه المثنى: إننا معشر الشيعة حمدنا الله

على ما عزمتم عليه ونحن موافق إن شاء الله للأجل الذي ضربت»^(١).

♦ العلاقة بين الزبيريين في الكوفة والتوابين:

كانت أولى المشاكل التي واجهها سليمان بن صرد، وأصحابه التواقون إلى الشهادة في تلك المرحلة، هي العلاقة مع أتباع عبد الله بن الزبير، فإنه بعدما طرد أشراف الكوفة عمرو بن حريث المخزومي (نائب عبيد الله بن زياد في الكوفة)، وانتهى الوجود الرسمي للأُمويين بعد هلاك يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ، وحاول كل جماعة في هذا الوقت الاستفادة من حالة الفراغ السياسي الذي حصل، حتى أن عمر بن سعد أراد أن يتولى السلطة لولا احتجاجات رجال همدان ونسائها اللاتي ملأن الكوفة بكاءً وندبة على الحسين (عليه السلام)، وكان البكاء سلاحاً فتاكاً في وجه عمر بن سعد..

وقد استفاد ابن الزبير ومناصروه من حصول ذلك الفراغ السياسي وعين على الفور والياً من جهته! وأرسل إليهم والياً وكلفه بالصلاة وهو عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، وإبراهيم بن محمد بن طلحة وكلفه بالخراج»^(٢).

وكان من الطبيعي أن تكون العلاقة متوترة بين الطرفين؛ الشيعة ورأسهم في تلك المرحلة والمقدم فيهم هو سليمان بن صرد الخزاعي، وسيأتي في ما بعد ذكر شيء يسير عن شخصيته ومنزلته. وبين أتباع ابن الزبير، ويمكن أن نلخص عدداً من القضايا التي يتخالف فيها الطرفان.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه ٢٣٧.



١/ في أصل الطلب بثأر الحسين (عليه السلام) من قتلته المجرمين؛ فإن أنصار سليمان يعتبرون هذا الأمر هدفهم الأسمى، ولو أدى ذلك إلى شهادتهم في سبيل هذا الهدف، ولقد صرحوا على لسان قائدهم وغيره، بينما لا يشكل هذا بالنسبة لابن الزبير وأنصاره أي نسبة من هدف خروجهم، وما ذكر ابن الزبير قتل الحسين (عليه السلام) إلا لأجل إضعاف جبهة يزيد والأمويين وإلا فلم يؤثر عنه أي موقف لفظي فضلا عن العملي في مناصرة الحسين (عليه السلام)، بل تشير بعض الأخبار إلى أن ابن الزبير كان مسرورا بخروج الحسين من مكة مهما كان مصيره! وقد بحثنا في الفصل الخاص بابن الزبير موقفه السلبي من أهل البيت عموما.. وشتان بين شخص يضج فيه الحب للإمام إلى حد أن يدفعه للاستشهاد، بعد شعوره بالتقصير في حقه، مع أنهم كانوا في الغالب معذورين، وبين شخص يكون وجود الحسين في مكان ثقيلا على قلبه! ويقول إنه يكتم بغضه لأهل البيت منذ أربعين سنة!

٢/ في خروج الطرفين، فإن الرئاسة والإمرة قد كان يسعى لها ابن الزبير منذ أيام عثمان بن عفان، وهو إذ ذاك دون الخامسة والثلاثين، وسعى لها وخاض حرب الجمل وجرّ زوجة النبي عائشة لتخوضها وأباه الزبير.. كل ذلك لأجل المنصب، وهرب من المدينة و«عاذ» بالبيت الحرام لأجل الرئاسة على الناس.. أفتراه يتركها وقد واتته الفرصة؟ وقد ذكرنا في تشريح شخصيته في الفصل الخاص بحركة ابن الزبير ما فيه غنى وكفاية.

بينما هؤلاء كانت الدنيا بالنسبة لهم لا تعني شيئا فهم يصرحون من قائد ومقودين بأنهم ما خرجوا لأجل الدنيا!^(١)

(١) فراجع كلماتهم في كامل ابن الأثير، وفي تاريخ الطبري وغيرهما.

٣/ في الموقف العملي تجاه قتلة الحسين (عليه السلام)، فأصحاب سليمان بن صرد كان همهم الأول هو قتل أولئك ثأراً للحسين ابن رسول الله، بينما ابن الزبير وجماعته احتضنوا قتلة الحسين واستقطبواهم، وجعلوهم جزءاً من حركتهم، بل وجد هؤلاء القتلة في حركة ابن الزبير الحضن الدافئ لهم، بل وفضلوه على أوليائهم السابقين من بني أمية!

ونعتقد أن هذا مما دعا عبد الله بن يزيد^(١) والي الكوفة من جهة ابن الزبير، أن يعرض على سليمان وأصحابه، أن يتركوا قتال قتلة الحسين، وأن يبقوا في الكوفة، ومعنى ذلك أن يكونوا تحت إمرتهم، بينما كان

(١) الناظر إلى تاريخ عبد الله بن يزيد الخطمي يرى إشارات متخالفة في شخصيته فقد يلمس فيه توجهاً شيعياً ونحتمل أن هذا هو الذي دفع إبراهيم بن محمد بن طلحة لمخالفته ومحاولة إخراجهم في أمر التوابين لأجل الاصطدام بهم والإعلان عن معارضته لاستعدادهم العسكري، فإن عبد الله بن يزيد هذا يذكر في أنه كان مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في حروبه الثلاث، يعني أنه حارب والد وجد إبراهيم (أعني محمد بن طلحة، وطلحة بن عبيد الله اللذين كانا في صف عائشة في حرب الجمل)، وزوجته هي بنت حذيفة بن اليمان العبسي وحذيفة شديد الولاء لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب.. ونحتمل أن توجه عبد الله وولاءه لعلي بن أبي طالب هو الذي جعل ابن الزبير يعزله بعد مدة، ونحتمل أن إبراهيم بن محمد بن طلحة كان له دور أساس في الوشاية به لابن الزبير، فعزله وعين مكانه عبد الله بن مطيع العدوي، كما نلاحظ في كلماته شيئاً من التعاطف والموقف اللين تجاه التوابين.

وهذا ما يشير إليه مسكويه في تجارب الأمم وتعاقب الهمم ٢/ ١١٢: «فنظر عبد الله بن يزيد، فإذا القوم يطلبون غيره بدم الحسين، فكره أن يستحضهم. فقال لمن أشار عليه بما حكيناه: - حدثوني ما يريدون. قال: - يذكرون أنهم يطلبون بدم الحسين. فقال: - أنا قتلت الحسين؟ لعن الله قاتل الحسين. فوالله ما أنا قتلت حسينا، ولا أنا ممن قاتله. ولقد أصبت بمقتله، رضي الله عنه. هؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا، وليتشرروا ظاهرين، ثم ليسيروا إلى قاتل الحسين، فقد أقبل إليهم، وأنا ظهير لهم». ومن جهة أخرى فلقائل أن يقول: إن ابن الزبير مع شدته على شيعة الكوفة لم يكن ليعين والياً من قبله عليهم، وعنده توجهات شيعية!



سليمان وأصحابه قد صمموا على قطع رأس الأفعى المتمركز في الشام، حيث كان مروان بن الحكم الذي حسم الموقف لصالحه بين بني أمية بقتل المنافسين له تارة، وبخداع بعضهم أخرى، وأصبح ملجأً لبقايا بني أمية، فلحق به عبيد الله بن زياد هارباً من البصرة، والحصين بن نمير التميمي الذي حاول خداع ابن الزبير في مكة، بينما كان ابن الزبير نفسه يخادعه! وكلُّ منهما حاول أن يبيع الآخر ولم يته إلى شيء فرجع للشام لكي يعزز من جديد سلطة بني أمية في فرعها المرواني!

المهم أن ابن الزبير لكي يفرض واقعاً على الأرض، وبناء على فكرة مدرسة الخلفاء فسيكون هو الخليفة بغض النظر عن مؤهلاته، واستحقاقه للخلافة، وبغض النظر عن أعدائه ومن يواجههم. فإنه قد أرسل «ولاة» على البلدان. وكان ولاة بني أمية قد هربوا منها أو عزلهم أهل تلك البلدان!

فعين على الكوفة رجلين: عبد الله بن يزيد على الصلاة والحكم، وإبراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج.. ويستفاد مما ذكره المؤرخون، أن الثاني كان عنيفاً ومعادياً بقوة للتوجه الشيعي في الكوفة، وخصوصاً لفكرة الطلب بدم الحسين (عليه السلام) وأصحابها، بخلاف الأول الذي كان يرى أن «هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن علي، فرحم الله هؤلاء القوم، إنهم آمنون، فليخرجوا ظاهرين وليسيروا إلى من قاتل الحسين، فقد أقبل إليهم، يعني ابن زياد، وأنا لهم ظهير» بل شجعهم بالقول «هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل أخياركم وأماثلكم قد توجه إليكم، على ليلة من جسر منبج، فقتاله والاستعداد إليه أولى من أن تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً، فيلقاكم عدوكم وقد ضعفتهم، وتلك أمنيته، وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم، من ولي

عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين، (هو الذي قتلكم)، ومن قبله أتيتم، والذي قتل من تنادون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به»^(١).

إلا أن حفيد طلحة؛ إبراهيم بن محمد لم يقبل هذا الكلام من الوالي ورد عليه كلامه، مع أن هذا الأمر ليس ضمن اختصاصه فهو الوالي على الخراج أي يشبه وزير الاقتصاد في عرف هذا الزمان! وقال بعد فراغ الوالي من خطبته: «أيها الناس لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المدهن، والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه، ولئن استيقنا أن قوما يريدون الخروج علينا لنأخذنّ الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة»!

هذا مع أن أصحاب سليمان إنما كانوا يستعدون لمواجهة الأمويين قرب الحدود العراقية الشامية! فهل كلامه نوع من المزايدة على الوالي الأصلي لكي يصل هذا الكلام لابن الزبير ويعينه والياً تام الصلاحية باعتباره أكثر حزماً مع مخالف في ابن الزبير؟ لا نستبعد ذلك.

وهو نفس المنطق الجاهلي الذي كان عليه عبيد الله بن زياد من أخذ البريء بالسقيم، والوالد بالولد..

المهم أنه وثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال: يا ابن الناكثين! أنت تهددنا بسيفك وغشمك! أنت والله أذل من ذلك! إننا لا نلومك على بغضنا، وقد قتلنا أباك وجدك، والله إنني لأرجو ألا

(١) المصدر نفسه ٢٥٣/٣.

(٢) إشارة إلى أبيه محمد بن طلحة وجده طلحة بن عبيد الله التيمي ونكثهما ببيعة أمير المؤمنين وخروجهما عليه في حرب الجمل.



يخرجك الله من بين ظهراني أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك، وأما أنت أيها الأمير فقد قلت قولاً سيدياً»^(١).

٤/ مع أن سليمان بن صرد كان يجامل عبد الله بن يزيد، بخلاف إبراهيم بن محمد بن طلحة، إلا أنه كان واضح الرؤية، ورفضه لمشاركة الزبيريين في نهضته، أو الاشتراك معهم في المستقبل لقتال الأمويين، كان على أساس وضوح الرؤية لديه تجاه ابن الزبير وحركته، وأنها ليست حركة مخلصية، وإنما هي مشروع شخصي ورئاسة دنيوية ولذلك فإنه لما سأل أصحابه عن رأيه في كتاب عبد الله بن يزيد، فإنه أرسل إليه جواباً ودوداً، وأثنى عليه كشخص في نصيحته وإخلاصه، واعتذر إليه بأنهم قد خرجوا واقتربوا من الشهادة ولا مجال للعودة، لكنه صرح أصحابه بحقيقة الأمر بقوله: «إنّا وهؤلاء مختلفون، إنّ هؤلاء لو ظهوروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً، وإنّا إن نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهله، وإن أصبنا فعلى نياتنا، تائبين من ذنوبنا، إن لنا شكلاً، وإن لابن الزبير شكلاً، إنّا وإياهم كما قال أخو بني كنانة:

أرى لك شكلاً غير شكلي فأقصري عن اللوم إذ بدلت واختلف الشكل»^(٢)

٥/ إننا نعتقد بوجود تعاطف كبير مع سليمان بن صرد ونهضته حتى من ولاية ابن الزبير، إما لتوجهاتهم الشيعية العامة وهذا ما نعتقده بالنسبة لعبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري^(٣)، أو لأنه يروونه صادقاً في نهضته

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٥/ ٥٦٢.

(٢) المصدر نفسه/ ٥٩٢.

(٣) الذهبي؛ شمس الدين: تاريخ الإسلام ٥/ ١٠٢: «وشهد أبو موسى عبد الله بن يزيد، مع علي صفين والنهروان».

غير ساع إلى الدنيا، وإن مقارنته مع ابن الزبير أو مروان بن الحكم، تظهر الرجحان الكبير لسليمان، فهذا طالب آخرة وجنة، وأولئك طلاب دنيا وإمرة! وأصحاب الفطرة السوية لا يساوون بين الاثنين، بل حتى أصحاب المصالح فهم في قرارة أنفسهم يقدرّون طلاب الآخرة والمؤمنين حقًا بقدر ما يخافون أو يطمعون من أهل الدنيا!

ولذلك لا نستغرب من نقل المؤرخين^(١) من أن زفر بن الحارث بن كلاب الذي استولى على قرقيسيا وكان ولاؤه في الخط المقابل لأمر المؤمنين علي في تاريخه السابق، مع ذلك كان له موقف مناسب من سليمان وأنصاره فإنه بعدما استولى عليها تحصّن بها، ولم يخرج إليهم حتى جاءه المسيب بن نجبة وشرح له ما أرادوا. فأكرم الوالي

(١) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم ١٢٠/٢: بعث سليمان إلى المسيب بن نجبة، فقال له: ايت ابن عمك هذا، فقل له: فليخرج لنا سوقًا، فإنّا لسنا إياه نريد، إنّما صمدنا لهؤلاء المحلّين. فأنتهى المسيب إلى الحصن، وانتسب، واستأذن. فقل: هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك، ويزعم أنه المسيب بن نجبة. فقال زفر بن الحارث: هذا فارس مضر، وهو بعد رجل ناسك له دين، فأذنوا له! وجاء، فأجلسه إلى جانبه، وسأله، وألطفه في المسألة.

ثمّ خاطبه المسيب، وقال: - «مّ تحصّن؟ إنه والله، ما إياكم نريد، وما قصدنا إلّا هؤلاء الظلمة المحلّين، فأخرج لنا سوقًا، فإنّا لا نقيم بساحتك إلّا يومًا أو بعض يوم. فقال له زفر بن الحارث: إنّنا لم نغلق أبواب المدينة إلّا لنعلم: إيانا اعتريتم، أم غيرنا. وما نعجز عن الناس ما لم تدهمنا حيلة، وما نحبّ أنّا بلينا بقتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسنة جميلة.

ثمّ دعا ابنه، وأمر أن يضع لهم سوقًا جامعة، وأمر للمسيب بفرس وألف درهم. فقال المسيب: - أمّا المال، فلا حاجة لي فيه، ولا له خرجنا، وأمّا الفرس، فإنّي أقبّله، فلعلّي أحتاج إليه إن غمز فرسي تحتي». وخرج حتّى أتى أصحابه، وأخرجت لهم السوق، وبعث إلى المسيب بعشرين جزورًا، وإلى سليمان بن صرد مثل ذلك. وكان سأل عن وجوه العسكر، فأخرج إلى كلّ واحد منهم بعشر جزائر وعلف كثير، وطعام واسع، وأخرج إلى العسكر غيرًا عظيمة، وشعيرًا كثيرًا.



وفادة جيش سليمان، وفتح لهم سوقا كاملة ليمتاروا منها ما يحبون، بل ونصحهم في خطتهم الحربية عندما يواجهون ابن زياد، وقد أثنى سليمان عليه وشكره.

وأخذ سليمان يرسل الشيعة خارج الكوفة، فقد كتب إلى سعد بن حذيفة (بن اليمان) يدعوه ومَن قبله إلى التوبة،^(١) والطلب بدم الحسين، فأجابوه إلى ذلك، وهم شيعة بالمدائن، وكانوا انتقلوا إليها من الكوفة، وقال لهم سعد بن حذيفة: إنكم كنتم على نصره الحسين لولا أنّ خبر قتله ومعالجة القوم إياه أتاكم، فانهضوا لقتال قتلته.

وكتب سليمان بن صرد إلى المثنى بن مخزبة العبدى، ومن قبله من شيعة البصرة، بمثل ذلك، فأجابوه إلى النهوض معه.

بعد أن أتم سليمان بن صرد الاستعدادات لمحاربة قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، من التعاقد مع المؤمنين بفكرته، والاستعداد بالتسليح، صار وقت التنفيذ. وجاء هلاك يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ هـ، ليضيف عنصراً جديداً في صالح توقيتهم الذي سبق لهم أن وضعوه وهو أنهم سيخرجون لمهمتهم تلك في ربيع الأول سنة ٦٥ هـ. هذا من حيث الزمان وأن المكان الذي سيجمعهم هو النخيلة بظاهر الكوفة.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٦/ ٦٦: وهذا من الإشارات التي يستفاد منها أن كلمة التوبة لا تعني بالضرورة أن من يكون مع التوابين لا بد أن يكون عليهم ذنب الخذلان كما قال بعضهم، فإن سليمان هنا قد ذكر عذر أهل المدائن وهو أنهم سُبِقوا بمعالجة القوم قتل الإمام الحسين (عليه السلام). وبهذا يكون ما استدلل به البعض على أن سليمان قد تقاعس عن نصره الحسين (عليه السلام) أو كما قال ابن سعد الطبقات الكبير ٥/ ١٩٧ «وكان فيمن كتب إلى الحسين بن عليّ أن يُقدّم الكوفة فلمّا قدمها أمسك عنه ولم يقاتل معه.. وأنه لذلك سموا بالتوابين». لا يبدو أنّه صحيح.

◆ نبدأ بقتال قتلة الحسين في الكوفة أو في الشام؟

وقد كانت هناك فكرة عند بعض أصحابه^(١) وكان يوافقهم عليها الوالي عبد الله بن يزيد^(٢) ترى أن الأفضل الانشغال بقتلة الإمام الحسين الموجودين في الكوفة وهم كثيرون، كما أفصح عن ذلك تتبع المختار الثقفي لهم فيما بعد، باعتبار أن الكوفة كانت مسكنهم! وأن القرآن يقول (قاتلوا الذين يلونكم...).

وفي المقابل كان سليمان قائد الحركة يخالف هذه الفكرة، ويرى أن الصحيح هو أن يقضي على الرأس الموجود في الشام فهو الذي يخطط ويمول ويحشد،^(٣) ومهما تم الانشغال بالذيول والأطراف مع كون المركز سالمًا فلن يغير المعادلة. بل سيأتي غيرهم وتستمر المعركة بلا نهاية.

ويضاف إليه كما أحتمل أن سليمان وأنصاره لو انشغلوا بقتلة الحسين الموجودين في الكوفة، فسيكون هذا سببًا مباشرًا في المواجهة بينهم

(١) ابن الأثير: الكامل ٣/ ٢٦٣: فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفييل: إني قد رأيت رأيًا إن يكن صوابًا فالله الموفق، وإن يكن ليس صوابًا فمن قبلي، إنا خرجنا نطلب بدم الحسين، وقتلته كلهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والقبائل، فأين نذهب ها هنا وندع الأوتار؟ فقال أصحابه كلهم: هذا هو الرأي.

(٢) المصدر السابق: قال عبد الله بن يزيد: إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا حتى ننتهي، فإذا سار عدونا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه.

(٣) المصدر السابق: وفي جواب عبد الله بن سعد بن نفييل الأزدي والذي اقترح البدء بقتلة الحسين في الكوفة قال سليمان: لكن أنا لا أرى ذلك، إن الذي قتله وعبأ الجنود إليه وقال لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي، هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد، فسيروا إليه على بركة الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه.



وبين الزبيريين الذين أعلنوا أن لهم السلطة على الكوفة، فمن غير الطبيعي أن يسمحوا لسليمان وأتباعه بالقيام بمثل تلك الأعمال التي لن تخلو من مواجهات عسكرية! ولا سيما مع وجود مثل إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي الذي كان يستكثر عليهم حتى الاستعداد العسكري!

وعلى كل حال؛ فبعد الاستعداد خرج سليمان بن صرد إلى النخيلة وهي منطقة معسكر كبير يستعد فيها المقاتلون من أهل الكوفة للشخص لمحل القتال، ويفترض أن فيها ما يحتاجه المقاتل من عدة وأهبة. وكان قد أرسل حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن عصور الكناني، فناديا في الكوفة: يا لثارات الحسين! فكانا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين!.

ووافى سليمان إلى اليوم التالي نحو أربعة آلاف، وهو أقل بكثير من العدد الذي أعرب عن الاستعداد للخروج معه، ولم يكن ذلك مستغرباً، فإن الهدف الذي جعله سليمان وأنصاره وهو أنا «ما خرجنا للدينا» استبعد قسمًا، وفكرة الإقدام على الشهادة استبعدت قسمًا آخر حتى لو كانوا متدينين ومؤمنين، وكذلك الفكرة التي ذكرناها قبل قليل والتي أيدها كثير ممن خرج إلى النخيلة فضلاً عن بقي في الكوفة، وهي إن الأولوية في قتال قتلة الحسين تكون لمن هم في الكوفة ثم يأتي الدور على من كان خارجها! فقد استقطبت هذه الفكرة قسمًا من أنصار سليمان بن صرد.

♦ هل كان المختار يخذل الناس عن سليمان؟

ونشير هنا إلى ما قيل من أن المختار كان يخذل الناس عن سليمان، ونحن لا نعتقد بهذه الفكرة. وذلك:

١/ أن أول من نقلها الذي انفرد بنقلها هو حميد بن مسلم، كما نقل عنه الطبري (ت ٣١٠هـ)، فقد نقل في كتابه هكذا «عن عطية بن الحارث، عن حميد بن مسلم، قال: قلت لسليمان بن صرد: إن المختار والله يثبط الناس عنك، إني كنت عنده أول ثلاث فسمعت نفرا من أصحابه يقولون: قد كملنا ألفي رجل»^(١) ولم نجده في كتاب مما سبقه، كالطبقات وأنساب الأشراف أو نسب قريش.

وحميد بن مسلم وإن كان راوية لكثير من وقائع كربلاء، إلى يوم العاشر عصراً حيث ذهب كرسول من عمر بن سعد إلى أهله لكي «يشرهم» بسلامته وانتصاره! وقد تم الاعتماد على مروياته في ما قبل ذلك، لجهات ذكرناها في كتابنا قضايا النهضة الحسينية.. إلا أننا هنا نتوقف في قبولها نظراً لأن موقف حميد بن مسلم من المختار كان سيئاً حيث كان حميد أحد الأشخاص الذين استهدفهم شرطة المختار للاقتصاص منهم.. فليس من الطبيعي بعد ذلك أن ينقل عنه غير ما يشينه!

٢/ إننا لا نعرف وجود علاقة خاصة بين سليمان بن صرد وهذا الرجل فماذا كان يصنع والحال أنه لم يكن على منهج سليمان بن صرد؟ وهل كان له صفة بحيث يقيم أشخاص الشيعة وقياداتهم أو أن يطلب منه سليمان رأيهم مثلاً في المختار، أو يستعلم منه عن ماذا يعمل وماذا يقول المختار؟

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٥ / ٥٨٤.

وأعجب من ذلك قوله إنه كان عند المختار قبل ثلاث ليال وأنه اجتمع للمختار ألفان! فهل كان حميد بن مسلم يتنقل بين المختار وسليمان، فيعرف كم اجتمع للمختار من الأنصار، ثم يذهب لسليمان قبيل خروجه للنخيلة فيخبره.. هكذا كان؟ مع أنه عُرف بأنه شارك في معركة كربلاء في صف ابن زياد، وأنه بناء على ذلك طُلب للقتل أيام المختار.^(١)

٣/ إننا نجد أن عبارات حميد بن مسلم فيها تأليب لسليمان بن صرد على المختار وهي في المنطق الأخلاقي تعتبر نميمة وليس هذا بمستغرب منه فموقفه العام هو أنه كان إلى جانب بني أمية، وفي تنمة تلك الكلمات التي نقلها وقال إن المختار يتحدث عن سليمان بأنه «إنما هو عشمة من العشم وحفش بال»^(٢) ليس بذئ تجربة للأمر، ولا له علم بالحروب..»^(٣) هي نفسها وباللفظ ما قاله عنه عمر بن سعد بن أبي وقاص، وشبث بن ربعي الرياحي، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم، فإنهم كانوا يقولون لوالبي الزبيريين «إن المختار بن أبي عبيد أشدّ عليكم من ابن صرد، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد: إنّه عشمة من العشم وحفش من الأحفاش بال، ليس بذئ تجربة للأمر، ولا علم بالحروب وأنا رجل أعمل على مثال مثل لي، وأمر تقدّم فيه إليّ..»

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٦/ ٤٠٩: بعث المختار السائب بن مالك الأشعري في خيل فأخذ عبد الله وعبد الرحمن ابني وهب الهمداني وهما ابنا عمّ أعشى همدان فأمر بهما المختار فقتلا في السوق، وطلب حميد بن مسلم فنجوا وقال:

ألم ترني على دهش نجوت ولم أكد أنجو
رجاء الله أنقذني ولم أك غيره أرجو

(٢) العشمة هو اليابس من الهزال، ومثله الحفش البالي.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ٥/ ٥٨٠.

فهل سمع هؤلاء من حميد بن مسلم هذه الكلمات أو أنه هو سمع منهم؟ وعلى أي من التقديرين سيكون موقفه مريباً!

٤/ نحن نلاحظ وهذا ما سيأتي في الحديث عن حركة المختار أنه أبّن سليمان ومن استشهد معه بكلمات حسنة، ولم يعترض عليه أحد بأنك كنت تسيء القول فيه! أو إنك قلت إنه عشمة من العشم وحفش بال! فقد كتب إلى من رجع من معركة عين الوردية وهو في السجن: «أمّا بعد فمرحّباً بالعصبة الذين حكم الله لهم بالأجر حين رحلوا، ورضي انصرافهم حين أقبلوا، إنّ سليمان بن صرد رحمه الله تعالى قضى ما عليه وتوفاه الله إليه، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين»^(١).

ونلاحظ أيضاً أن محاولة حميد بن مسلم أو بتعبير ابن الأثير ما «قيل» لسليمان من أن المختار يثبط الناس عنك، لم تفلح ولم يصدقها سليمان، فقد قال في جواب النمام ذاك، لما قال له: «إن المختار يثبط الناس عنك، إنه قد تبعه ألفان!».

(١) والنص الذي نقله الطبري ٦/٦: أكثر تفصيلاً، فقد قال: «إن أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب إليهم المختار:

أما بعد، فإن الله أعظم لكم الأجر، وحط عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المحلين، إنكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، إلى ما لا يحصىه إلا الله من التضعيف، فأبشروا فإنني لو قد خرجت إليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاماً، وقتلتهم فذا وتوأمًا، فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى، والسلام يا أهل الهدى.

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة...».



فقال: قد بقي عشرة آلاف، أما هؤلاء بمؤمنين؟ أما يذكرون الله والعهود والمواثيق؟ ففراه مثلاً هنا لم يتجهج على المختار أو يسيء القول فيه، وإنما عطف بتحميل المسؤولية لمن عاهده ووآثقه على الخروج ثم أخلف وعده، وإن الذين سجلوا معه كانوا ستة عشر ألفاً، وحضر منهم معه أربعة آلاف، وإذا زعم الناقل أنه تبع المختار ألفان فهذه ستة، فالباقى عشرة آلاف، فأين هم؟ أما هؤلاء بمؤمنين؟

وبالتالى فإن تلك النميمة ومحاولة التخريب لم تؤت ثمارها.

نعم كان من الواضح وجود اختلاف بين المنهجين، وسيأتي الحديث عنه بنحو أكثر في فصل حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

♦ من الكوفة إلى قبر الإمام الحسين، ثم معركة عين الوردية:

في شهر ربيع الآخر من سنة ٦٥ هـ، وفي معسكر النخيلة خطب سليمان بن صرد الخزاعي في من اجتمع إليه من التواقين لطلب ثأر الإمام الحسين (عليه السلام)، مع قلتهم بالقياس إلى عدد من «أحبّوا» ذلك، فقال: «أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيّاً وميتاً، ومن كان إنما يريد الدنيا فوالله ما نأتي فيئاً نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع، وما هي إلا سيوفنا على عواتقنا، وزاد قدر البلغة، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا.

فتنادى أصحابه من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا (عليه السلام)». (١)

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٢٦٣.

سار هذا الجمع المؤمن وعينه على الآخرة، فانتهوا إلى قبر الحسين. وكنت قد كتبت مقالاً عن الشهيد سليمان بن صرد طبع في كتاب «رجال حول أهل البيت» فأحببت الاستشهاد به ونقله هنا لوحدة الموضوع، وها هو بنصه:

«لئن أسدل الستار على «الحسين شهيداً»، في عصر يوم العاشر من محرم، فلا يزال الكثير من فصول «الحسين ثائراً».. ذلك أن تلك الشهادة، بما رافقها من مقدمات بطولية، ونتائج مأساوية، صنعت انفجاراً عنيفاً في ليل صمت الأمة، وهزة قوية لكل القلوب، التي راحت وهي في دهشة مما جرى، تبحث عن طريق لاستمرار النهج الحسيني، وهكذا بقيت فصول كثيرة من «الحسين ثائراً» تنتظر الظرف المناسب لكي تخرج إلى الأمة..

سرعان ما أفاقت جماهير الأمة على حقيقة أن لا حرمة لها، ولا شخصية لوجودها بعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وأن لا وجود حتى لقشر الإسلام لدى ولاتها الحاكمين، ولذلك لا بد لها من «يا لثارات الحسين».

وكان أول من أدرك هذا التحول سليمان بن صرد الخزاعي، صاحب رسول الله الذي غير اسمه من «يسار» إلى «سليمان»، وصاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ شهد معه مشاهده، وصاحب الحسينين..

إن القدر كان يدّخره لهذا التحول وهذا الدور، لقد كان يحرص - بعد أن كاتب الإمام الحسين (عليه السلام) معلناً بيعته له ومن معه من شيعة الكوفة - كان يحرص على الالتحاق بالإمام في كربلاء، إلا أن سرعة مجيء عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، وقيامه بسجن كبار القوم من شيعة أهل البيت، جعل سليمان في رأس قائمة المطلوبين، وهكذا وجد نفسه في



سجن الكوفة، رهين حراسة مشددة، وتعليمات صارمة للسجانين، بأن يعطوا سجناءهم طعامًا يوميًا، ويومًا يحرمونهم..

لقد كان يدخر ليوم آخر بالرغم من حرصه أن يشهد كربلاء، إلا أنه ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.

ها هو يتقطع ألمًا وحزنًا وهو يسمع من العائدين أخبار عاشوراء، وتفاصيل البطولة والمأساة.. وكان يعتمل تحت ذلك الألم شعور بضرورة الاستمرار في خط الثورة الحسيني، ويحتاج ذلك إلى رجل، قد أعطى ظهره للحياة، لا يرجو من حركته سوى أن يسمع الأعداء صوت الحسين من جديد.. ويعيد إلى الأذهان صورة الرؤوس المرفوعة على أطراف الأسنة، ومشاهد الشفاه الذابلة من العطش..

كان الوضع يحتاج إلى من يخترق مجرى الحياة العادية، حيث يتعايش القاتل والمقتول وينسى فيه الضحية المجرم، مع أن سيف الإجرام لا يزال يقطر بالدماء الزاكية.

ولم يكن هناك أفضل من سليمان، فبالرغم من سنه التي قاربت التسعين إلا أن له همة تقصر عنها همم الشباب، وتضحية أقل ما تعطيه هو النفس..

إنه لا يستطيع أن يرى قتلة الحسين (عليه السلام) يسرحون ويمرحون في الكوفة، وكأنهم كانوا في رحلة قنص بري!! سوف يكون هذا العمل- لو تم- بادرة خيرة تحذر أهل الباطل من التماذي في غيهم.. وما الذي يؤخره عن هذه المهمة، فلا أنسب من هذا الوقت، ذلك أن ابن زياد عاد إلى البصرة، وقد وردت الأنباء بهلاك يزيد بن معاوية، وانتقض ما أبرمه معاوية، وثار عبد الله بن الزبير في الحجاز، وانتهت السلطة المركزية..

وكان الشعور بالذنب - بالرغم من كونهم لم يرتكبوه - والإحساس بفداحة الخسارة التي حلت بشهادة الحسين، لدى عدد كبير من شيعة أهل البيت في الكوفة.. وكان الجميع يفكر فيما يفكر فيه سليمان..

قد لا تستطيع أن تضيء العالم، ولكن بدلاً من لعن الظلام بيأس أوقد شمعة فلا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها، وحيث لا تستطيع أن تقاوم كل جنود الانحراف ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾.

والذين يتعللون، بعدم القدرة تارة، وبضخامة عدة العدو وعدده، ﴿ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ﴾ هؤلاء ﴿ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ.. ﴾ إن شمعة من هذا، وإضاءة من ذاك، وصرخة من ثالث، وانتفاضة من رابع، سوف تخلق تيار الوعي والحركة في عقل الأمة وروحها.

وكما أن جسم الأمة عندما يصيبه الضعف والمرض فهناك حاجة إلى طبيب يداوي، فإن روحها إذا أصيبت بمرض التراجع أو الاستسلام فإنها تحتاج إلى دم شهيد، ينفض عن روحها تلك الآثار، حيث لا يستطيع غير العمل البطولي الاستشهادي صنع ذلك..

لما قُتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنُخَيْلَة ودخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم، ورأت أن قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم نصرته وإجابته حتى قُتل إلى جانبهم، ورأوا أنّه لا يغسل عارهم والإثم عليهم إلاّ قتل مَنْ قتله أو القتل فيهم، فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة: إلى سليمان بن صُرَد الخُزَاعِيّ، وكانت له صحبة، وإلى المُسَيَّب بن نَجْبَة الفزارِيّ، وكان من أصحاب عليّ، وإلى عبد الله بن سعد بن نُفَيْل الأزديّ، وإلى عبد الله بن وال التيميّ، تيم بكر بن وائل، وإلى رفاعة بن شدّاد البجليّ، وكانوا من



خيار أصحاب عليٍّ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فبدأهم المسيّب بن نجبة فقال بعد حمد الله:

أما بعد فإننا ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول عنه غدا ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ فإن أمير المؤمنين عليًّا قال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن بنت نبيّه، (ﷺ)، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورساله وأعذر إلينا فسألنا نصره عودًا وبدءًا وعلانيةً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألستنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصر إلى عشائرننا، فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبيّنا وقد قُتل فينا ولد حبيبه وذريّته ونسله؟ لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه، أو تُقتلوا في طلب ذلك، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك، ولا أنا بعد لقاءه لعقوبته بآمن. أيّها القوم ولّوا عليكم رجلاً منكم فإنه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحقّون بها.

وقام رفاعة بن شدّاد وقال: أمّا بعد فإنّ الله قد هدّاك لأصوب القول وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب إلى قولك، وقلت: ولّوا أمركم رجلاً تفزعون إليه وتحقّون برايته، وقد رأينا مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً، وفينا منتصحاً، وفي جماعتنا محبوباً، وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله، (ﷺ)، وذا السابقة والقَدَم سليمان بن صرد الخزاعي، المحمود في بأسه ودينه، الموثوق بحزمه.

وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك وأثنيا على المسيب وسليمان.
فقال المسيب: قد أصبتم فولّوا أمركم سليمان بن صرد.

فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله: أما بعدُ فإنّي لخائف ألا يكون
آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية
وشمل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنّنا كنّا
نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبينا، (عليه السلام)، نميّهم النصر ونحتّمهم على
القدوم، فلمّا قدموا وبنّا وعجزنا وأدهنّا وتربّصنا حتى قُتل فينا ولد
نبينا وسلالته وعصارتة وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسأل
التّصف فلا يُعطى، اتّخذة الفاسقون غرضًا للنّبل ودريئة للرماح حتى
أقصده، وعدوا عليه. فسلبوه. ألا انهضوا، فقد سخط عليكم ربكم
ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرض الله، والله ما أظنّه راضيًا
دون أن تنجزوا مَنْ قتله، ألا لا تهابوا الموت فما هابه أحد قط ألا
ذلّ، وكونوا كبنّي إسرائيل إذ قال لهم نبّيه: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾،
﴿فَتَوْبُوا إِلَيَّ بَارِكْكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ففعلوا وجثوا على الركب ومدّوا
الأعناق حين علموا أنّهم لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا القتل، فكيف
بكم لو دعيتم إلى ما دعوا! أحذّوا السيوف وركبوا الأسنة ﴿وَأَعِدُّوا
لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ حتى تُدعوا وتُسْتنفروا.

فكان أول ما ابتدأوا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين،
فما زالوا بجمع آلة الحرب ودعاء الناس في السرّ إلى الطلب بدم
الحسين، فكان يجيهم النفر، ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد
بن معاوية سنة أربع وستين، فلما مات يزيد جاء إلى سليمان أصحابه
فقالوا: قد هلك هذا الطاغية والأمر ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو
بن حريث، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة، ثمّ أظهرنا الطلب بدم



الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم.

فقال سليمان بن صرد: لا تعجلّوا، إني قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم، ونظرت فيمن تبغني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جُزراً لعدوّهم، ولكن بثّوا دُعאתكم وادعوا إلى أمركم. ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد.

استيقظت الكوفة سنة ٦٥ هـ على نداء هو الأول من نوعه، فقد أرسل سليمان اثنين من أصحابه فناديا فيها: يا لثارات الحسين.. فكانا أول خلق الله دعوا بهذا الشعار..

وخرج مع سليمان أهل البصائر والعازمون على الشهادة وتبعهم عدد آخر لما سمعوا النداء في الكوفة.

ثم قام سليمان في أصحابه فقال: أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيًّا وميتًا، ومن كان إنّما يريد الدنيا فوالله ما نأتي فيئًا نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع، وما هي إلا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا. فتنادى أصحابه من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنّما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا.

ثم ساروا فانتبهوا إلى قبر الحسين، فلمّا وصلوا صاحوا صيحة واحدة. فما رُئي أكثر باكيًا من ذلك اليوم، فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه

وترك القتال معه وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه، وكان من قولهم عند ضريحه: اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد. المهديّ ابن المهديّ، الصديق ابن الصديق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا، (ﷺ)، فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه ﴿وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له، فازدحم الناس عليه كازدحامهم على الحجر الأسود.^(١)

لم يكن مهرجان الولاء والعشق الحسيني الذي أقامه التوابون، دموعاً تراق لتنفيس الغضب والعقد كما يصنعه غير الواعين ولم يكن تعويضاً عن العمل والفاعلية، إنما كان محطة تعبئة للروح وتأکید على الهدف وتجديد للبيعة مع الخط الحسيني، لذلك ما أسرع أن تحول ذلك المهرجان إلى طاقة ثورية دافعة للشهادة.

وهكذا غادر التوابون كربلاء إلى عين الوردية حيث سيواجهون عبيد الله بن زياد مع جنوده..

وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردية على مسيرة يوم وليلة، فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إن الله مع الصابرين، ولا يوليّنهم امرؤ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة، ولا تقتلوا



مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه، فإن هذه كانت سيرة عليّ في أهل هذه الدعوة.

ثم قال: إن أنا قتلت فأمير الناس مسيّب بن نجبة، فإن قتل فالأمير عبد الله بن سعد بن نُقَيْل، فإن قتل فالأمير عبد الله بن وال، فإن قتل فالأمير رفاعه بن شداد، رحم الله امرأً صدق ما عاهد الله عليه.

ثم بعث المسيّب في أربعمئة فارس ثمّ قال: سر حتى تلقى أوّل عساكرهم فشنّ عليهم الغارة، فإن رأيت ما تحبّه وإلا رجعت، وإياك أن تنزل (أو تدع)، أحداً من أصحابك (ينزل)، أو يستقبل آخر ذلك، حتى لا تجد منه بداً فسار المسيّب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا في جانب عسكرهم، فانهزم العسكر وأصاب المسيّب منهم رجالاً، فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب، وخلّى الشاميون عسكرهم وانهزموا، فغنم منه أصحاب المسيّب ما أرادوا ثمّ انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبر ابن زياد فسرّح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً، فخرج أصحاب سليمان إليه لأربع بقين من جمادى الأولى، وعلى ميمتهم عبد الله بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيّب بن نجبة، وسليمان في القلب، وجعل الحصين على ميمته جملة بن عبد الله، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنويّ، فلمّا دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثمّ يرد الأمر إلى أهل بيت النبي، (ﷺ)، فأبى كل منهم، فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين، والميسرة أيضاً على الميمنة، وحمل سليمان في

القلب على جماعتهم، فانهزم أهل الشام إلى عسكرهم، ومازال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل.

فلما كان الغد صبح الحصين جيش مع ابن ذي الكلاع ثمانية آلاف، أمدهم بهم عبيد الله بن زياد، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالا لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم إلا الصلاة، فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين، وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم.

فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديداً إلى ارتفاع الضحى، ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب، ورأى سليمان ما لقي أصحابه، فنزل ونادى: عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإلي! ثم كسر جفنة سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه، فقاتلوهم، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فكثروا الجراح. فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان، رحمه الله، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوق وقع ثم وثب ثم وقع^(١). و«وقال: فُزْتُ ورب الكعبة. وقُتِلَ عامَّةُ أصحابه ورجع من بقي منهم إلى الكوفة، وحمل رأس سليمان بن صُرد والمسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم أدهم بن مُحَرِّز الباهلي»^(٢).

وصل إلى غايته وهو في الثالثة والتسعين من العمر، وقد كان يطلبها منذ أن كان في شبابه مع رسول الله وأمير المؤمنين.

(١) تم الاعتماد على ابن الأثير ج ٣ في نقل أحداث الثورة.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير ١٩٧/٥.

هل حضر معركة الجمل؟



يكتسب هذا السؤال أهمية كبيرة، وذلك لأن بعض المؤرخين ينقل عنه أنه على أثر غيابه عنها عاتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) عتاباً قوياً وأنه رد على الإمام، وأن الحسن بن علي قال كلاماً في حق أبيه ينتقده فيه، ونقل عنه ما يفيد بتندم أمير المؤمنين على خوض حرب الجمل وإنه كان يتمنى موته قبل عشرين سنة وفي موضع آخر أربعين سنة!

وقد لا يكون حضور شخص حرب الجمل أو غيابه عنها سبباً في انتقاده أو نقص شأنه إذا كان معذوراً، ولكن إذا لم يكن كذلك، وعوتب من قبل الإمام عتاباً شديداً، فإنه قد ينقص من قدره.

وسنعرض إلى الروايات النافية لحضوره، ونرتبها بحسب كونها أشد لهجة وعنفاً.. ثم نسجل الملاحظات عليها:

فمنها ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة قال راويا عن سليمان بن سرد قال: أتيت علياً يوم الجمل وعنده الحسن وبعض أصحابه، فقال علي حين رأي: يا بن سرد تنأأت و ترحزحت وتربّصت، كيف ترى الله صنع؟ قد أغنى الله عنك، قلت: يا أمير المؤمنين إن الشوط

بطين^(١) وقد بقي من الأمور ما تعرف فيها عدوك من صديقك، قال: فلما قام الحسن لقيته فقلت: ما أراك أغنيت عني شيئاً ولا عذرتني عند الرجل؟ وقد كنت حريصاً على أن تشهد معه، قال: هذا يلومك على ما يلومك، وقد قال لي يوم الجمل: مشى الناس بعضهم إلى بعض، يا حسن ثكلتك أمك - أو هبلتك أمك - ما ظنك بامرئ، جمع بين هذين الغارين، واللّه ما أرى بعد هذا خيراً، قال: فقلت: أسكت، لا يسمعك أصحابك فيقولوا: شككت فيقتلونك^(٢).

وقريب من ذلك ما أورده أيضاً ابن أبي شيبه في نفس الكتاب؛ عن عمرو بن مرة قال: جاء سليمان بن صرد إلى علي بن أبي طالب بعدما فرغ من قتال يوم الجمل، وكانت له صحبة مع النبي (ﷺ)، فقال له علي: خذتنا وجلسنا معنا وفعلت على رؤوس الناس؟ فلقى سليمان الحسن بن علي فقال: ما لقيت من أمير المؤمنين؟ قال: قال لي: كذا وكذا على رؤوس الناس، فقال: لا يهولنك هذا منه فإنه محارب، فلقد رأيته يوم الجمل حين أخذت السيوف مأخذها يقول: لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وقد أشار محقق الكتاب إلى كون الحديث منقطعاً فإن عمرو بن مرة لا يروي عن سليمان.

وألين النصوص لفظاً هو ما جاء في «أنساب الأشراف»: قالوا: وتلقى سليمان بن صرد الخزاعي علياً وراء نجران الكوفة فصرف علي وجهه عنه حتى دخل الكوفة، وذلك إنه كان ممن تخلف عنه، فلما

(١) ابن منظور: لسان العرب ٧ / ٣٣٧: «حَدِيثُ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ لِعَلِيِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الشَّوْطَ بَطِينٌ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأُمُورِ مَا تَعْرِفُ بِهِ صَدِيقَكَ مِنْ عَدُوِّكَ؛ الْبَطِينُ الْبَعِيدُ، أَيْ إِنْ الزَّمَانَ طَوِيلَ يُمَكِّنُ أَنْ أَسْتَدْرِكَ فِيهِ مَا فَرُطْتُ».

(٢) ابن أبي شيبه: المصنف ٢١ / ٥٠٤ ت الشري: وقال محقق الكتاب إنه صحيح.



دخل الكوفة عاتبه وقال له: كنت من أوثق الناس في نفسي. فاعتذر وقال: يا أمير المؤمنين استبق مودتي تخلص لك نصيحتي». (١)

ولعله اختصار لما جاء في كتاب وقعة صفين للمنقري «عن عبد الرحمن ابن عبيد بن أبي الكنود، أن سليمان بن صرد الخزاعي دخل على علي ابن أبي طالب بعد رجعته من البصرة، فعاتبه وعذله وقال له: ارتبت وتربصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي وأسرعهم - فيما أظن - إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك، وما زهدك في نصرهم؟»

فقال يا أمير المؤمنين، لا تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبنني بما مضى منها واستبق مودتي يخلص لك نصيحتي. وقد بقيت أمور تعرف فيها وليك من عدوك. فسكت عنه وجلس سليمان قليلا، ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي وهو قاعد في المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ؟ فقال له الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته. فقال: إنه بقيت أمور سيستوسق فيها القنا، ويتنضى فيها السيوف ويحتاج فيها إلى أشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصيحتي. فقال له الحسن: رحمك الله: ما أنت عندنا بالظنين». (٢)

♦ ملاحظات على الروايات:

١/ أول ما يلاحظ على هذه الروايات وخصوصاً الأولى والثانية، أن فيها كلاماً لا يناسب الإمام علياً (عليه السلام) ولا الحسن ابنه؛ فمن ذلك ما

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٦٢/٣.

(٢) المنقري؛ نصر بن مزاحم: وقعة صفين ص ٧.

يفترضه الحديث من قول الإمام علي لابنه الحسن هبلك أمك! مع معرفتنا بتأكيد الإمام علي على حسن ذكر فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهكذا ما يفترض من قوله مع قسمه بالله: ما أرى بعد هذا خيراً! ومن الواضح أن فيه تشكيكاً في سلامة محاربة الإمام لأهل الجمل! وهو الأمر الذي تركّز عليه بعض أحاديث مدرسة الخلفاء من أن الإمام تندم على ذلك.. وسببه أن هذا المسير كان خاطئاً.. مع أن خطواته (عليه السلام) يوضحها قوله «ما شككت في الحق منذ أريته»^(١) لا سيما وأنه مع القرآن والقرآن معه، وأنه مع الحق والحق معه يدور حيث ما دار^(٢)! ونفس ما يفترض من قوله: لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة!^(٣)

وأسوأ من هذا ما ينقلونه عن الإمام الحسن (مما يفترض أنه قاله عن أبيه (عليه السلام)): هذا يلومك على ما يلومك، وقد قال لي يوم الجمل: مشى الناس بعضهم إلى بعض.. الخ. ومعنى ذلك أن الإمام الحسن يخطئ موقف والده من ملامة سليمان، بينما والده هو متندم على الدخول في حرب الجمل.. وبالتالي فمن الجدير به أن لا يلومك يا سليمان! وأنه لن يرى خيراً بعد ذلك اليوم! وخصوصاً بعد أن أخذت السيوف مأخذها! ولا أعلم هل كان هذا بسبب جبن الإمام علي؟ أو بسبب ندمه على قتلى الجمل؟ وكلاهما باطل!

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام) ص ٥١.

(٢) النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، كلا الحديثين في ٥ / ٥٨١.

(٣) نحتمل أن مثل هذه الكلمات جعلت لكي تعادل ما نقل عن عائشة زوجة النبي من أنها كانت تبكي حتى تبل خمارها إذا ذكرت حرب الجمل وأنها تمنّت لو أنها كانت ميتة قبل ذلك؟ فقد جاء ذلك في مصادر متعددة منها الطبقات الكبير ٧٩ / ١٠: «حدثني من سمع عائشة، إذا قرأت هذه الآية: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}، بكت حتى تبل خمارها» وفي كتاب الاعتقاد للبيهقي ص ٣٧٣: «أَنَّهَا مَا ذَكَرَتْ مَسِيرَهَا قَطُّ إِلَّا أَبَكَتْ حَتَّى تَبْلَّ خِمَارَهَا وَتَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا».

والأسوأ هو ما يقوله الحديث الأول في نهايته من أن الإمام الحسن (عليه السلام) (يأمر أباه) بالسكوت كما يأمر ولي الأمر ابنه الصغير!! لكيلا يسمعه الآخرون فيقتلوه! هل هذه الصورة التي يعرفها القاضي والداني عن علي (عليه السلام) وابن الحسن؟

وتبرز لهجة الاستخفاف (الكاذبة) مما يفترض أنه قول الإمام الحسن (عليه السلام)، عندما يخاطب سليمان بأن لا يهتم لعتاب أمير المؤمنين ولا يخاف منه و«لا يهولنك هذا منه»! فهل كان يتحدث الإمام الحسن (عليه السلام) عن أبيه هكذا؟ أو هل كان يرضى سليمان نفسه بأن يتكلم متكلم عن إمامه بهذه الصورة؟

نعم لا ترد هذه الملاحظات على الرواية الواردة في كتاب وقعة صفين، ولا على ما نقله البلاذري في أنساب الأشراف.

٢/ ثم إنَّ عدم حضوره معركة الجمل ليس أمراً ثابتاً عند الجميع فقد اختلف المؤرخون في هذا وغيره مما يرتبط بسليمان بن صرد؛ وعلى مستويات متعددة.

فقد علق السيد الخوئي رحمه الله على ما روي في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم «بأنَّ ما روي عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم، عن أبي عبد الله سيف بن عمر، عن إسماعيل بن أبي عمرة، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود من عتاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعذله سليمان بن صرد في قعوده عن نصرته بعد رجوعه (عليه السلام) من حرب الجمل لا يمكن تصديقه، لأنَّ عدة من رواته لم تثبت وثافتهم، على أنَّه لم يثبت كون هذا الكتاب عن نصر بن مزاحم بطريق معتبر،

فلعل القصة مكذوبة عليه كما احتمله الشيخ»^(١) وقد قال شيخ الطائفة رحمه الله في ذكر من روى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) «سليمان بن صرد الخزاعي، المتخلف عنه يوم الجمل، المروي عن الحسن أو المروي على لسانه كذباً في عذره في التخلف»^(٢).

وقد ذكر بعض المؤرخين حضور سليمان جميع مشاهد وحروب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبطبيعة الحال يشمل ذلك حرب الجمل، فقد صرح ابن الأثير في كتابه أسد الغابة بذلك وقال: «وشرف في قومه وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشاهد كلها وهو الذي قتل حوشباً ذا ظليم الألهاني بصفين مبارزة»^(٣). ونص عليه البغدادي في كتابه المحبر فقال «سليمان بن صرد الخزاعي. كان يسمى يساراً، فسماه رسول الله (ﷺ) سليمان. فلما قبض رسول الله (ﷺ) تحول إلى الكوفة، فنزلها. شهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين»^(٤).

ولم نفهم كيف أن المرحوم السيد الخوئي رضوان الله عليه، ثبت حضوره حرب الجمل، وفي نفس الوقت رد قصة المعاتبة، مع أنها إذا ثبت عدم الحضور فهو فرع عن المعاتبة تلك، ومرتبطة بها! قال عليه الرحمة: «أقول: لا ينبغي الاشكال في جلالة سليمان بن صرد وعظمته لشهادة الفضل بن شاذان بذلك وأما تخلفه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وقعة الجمل فهو ثابت»^(٥) ولعل ذلك كان لعذر أو بأمر من أمير

(١) الخوئي؛ السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٢٨٤ / ٩.

(٢) الطوسي؛ شيخ الطائفة محمد بن الحسن: الأبواب (رجال الطوسي) ص ٦٦.

(٣) ابن الأثير؛ أبو الحسن علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٥١ / ٢.

(٤) البغدادي؛ محمد بن حبيب: المحبر ص ٢٩١.

(٥) بدا لي وأنا أراجع النص مرة أخرى أن المفروض أن تكون الجملة لو أريد تصحيحها =



المؤمنين عليه..»^(١) وقوله لعل.. الخ، ينفية العتاب (المفترض) من الإمام له، سواء كان بلحن شديد أو خفيف، فلا معنى أن يأمره بالتخلف ثم يعاتبه، أو أن يكون معذورا ومع ذلك يعاتبه.

وقد اختار الشيخ المامقاني في تنقيح المقال، عدم تخلف سليمان عن حرب الحمل وقال «وما قاله الشيخ في الرجال: من تخلفه عن الجمل لم أقف عليه بعد فضل التبع منه على عين ولا أثر. ويرده قول الجزري: شهد مع عليّ (عليه السلام) مشاهده كلها».^(٢)

ورده الشيخ التستري بقوة قائلاً: «أقول: ليته راجع صفين نصر (ابن مزاحم) حتى يرى تصديق قول الشيخ؛ فروى عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود أن سليمان دخل على عليّ - عليه السلام - بعد رجعه من البصرة، فعاتبه وعذله، وقال له: «ارتبت وتربّصت وراوغت...».^(٣)

ولنا ملاحظة على كل من القولين؛ أما ملاحظتنا على ما قاله الشيخ التستري فنقول أيضا ليته رحمه الله راجع ما قاله السيد الخوئي في سند رواية وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وقد مر نقل كلامه آنفاً.

وأما ملاحظتنا على ما قاله الشيخ المامقاني رحمه الله فإن خبر

= (وأما تخلفه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وقعة الجمل فهو غير ثابت) حتى تنسجم مع ما بعدها من الكلام: ولعله كان لعذر أو بأمر من أمير المؤمنين) لا سيما وهو رحمه الله قد رد رواية نصر بن مزاحم في كتاب وقعة صفين ولم يقبلها.. ولكن الموجود في النسخ التي راجعتها هو بالإثبات لا بالنفي، ولعله لأجل خطأ مطبعي أو غيره، وبه يتغير المعنى كلياً. وإذا كان كذلك فلا يرد على سيد الطائفة ما سبق من القول «ولم نفهم كيف أن السيد... ثبت حضوره» إلى آخر الجملة.

(١) الخوئي؛ السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٩ / ٢٨٣.

(٢) المامقاني؛ الشيخ عبد الله: تنقيح المقال في علم الرجال ٣٣ / ١٨٨.

(٣) التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال ٥ / ٢٧٩.

تغييه عن حرب الجمل المذكور في مصادر مدرسة الخلفاء، فكيف لم يقع منه على عين أو أثر؟ وقد ذكرنا بعضها في أول هذا الموضوع.

٣/ إننا نعتقد بالنظر إلى مصادر روايات المعاتبه، والأهم مضمونها - خصوصاً تلك التي ذكرناها عن مصنف ابن أبي شيبة - أنها لا يمكن أن تكون مقبولة أصلاً، ويبقى غيرها كما في أنساب الأشراف وهو بلا سند، ولعله نقله مختصراً من كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وقد عرفت نقد السيد الخوئي رحمه الله لرواية نصر سنداً، مع كون مضمونها مقبولا حيث لا يشتمل على مخالفة واضحة، وبهذا يتبين أن لا مصدر يمكن الركون إليه في إثبات تخلفه؛ فإن ما جاء مسنداً كما في المصنف مع ضعف أحد طريقه حتى عندهم، لا يمكن القبول بمضمونه! وما كان يمكن القبول بمضمونه لا سند معتبر له.

٤/ وعلى كل حال، فلو تغاضينا عن هذه الجهة، ورأينا في تلك الروايات، وتنزلنا مع القائلين بغيابه عن حرب الجمل، فإنما يمكن القبول به منها هو تلك التي احتوت على ما لا يخل بشأن الإمام أمير المؤمنين والحسن (عليهما السلام)، مما أشرنا إليه، وهو ما ورد في أنساب الأشراف للبلاذري مختصراً ونصر بن مزاحم المنقري مفصلاً.

وحتى على هذا التقدير فإن ذلك لا يقدر في جلالة سليمان بن صرد وهو ما أشار إليه المرحوم السيد الخوئي^(١)، وشاهده دوره في صفين ثم مع الحسينين..

(١) الخوئي؛ السيد أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٩ / ٢٨٣. «أقول: لا ينبغي الاشكال في جلالة سليمان بن صرد، وعظمته، لشهادة الفضل بن شاذان بذلك».

حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي



سوف نبدأ الحديث عن حركته بالحديث عنه أولاً، ثم نتحدث عن تحركه في الكوفة ونهوضه لقتل قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، ثم نقوم بتقييم تلك الحركة.

ولد المختار بن أبي عبيد الثقفي في السنة الأولى من هجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من أسرة ثقفية، وبالرغم من أن قبيلة ثقيف لم تعرف كثيراً بولاء أهل البيت (عليهم السلام)، إلا أن والده أبا عبيدة (عبيد) بن مسعود الثقفي^(١) عرف بولاء أهل البيت، مثلما كان عم المختار؛ سعد بن مسعود الثقفي الذي

(١) ذكره بالولاء الشيخ علي الكوراني العاملي، في جواهر التاريخ (اضطهاد العترة بعد النبي) ٢٤٨ / ١. فقال: «إن من ظلامات قريش لأمر المؤمنين (عليهم السلام) أنهم نسبوا الفتوحات لأبي بكر وعمر وعثمان، وأخفوا دوره ودور تلاميذه وشيعته الفرسان أمثال: خالد بن سعيد بن العاص وإخوته أبان وعمرو، وبريدة الأسلمي، وعمار، وحذيفة، وسلمان، والمقداد، وحجر بن عدي، والأشتر، وهاشم المرقال، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، والبراء بن عازب، وأبي أيوب الأنصاري، وبلال، وعبد الله بن خليفة البجلي، وعدي بن حاتم الطائي، وبديل بن ورقاء الخزاعي، وأبو عبيدة بن مسعود الثقفي... وغيرهم، من القادة الميدانيين الذين قامت الفتوحات على قيادتهم وجهودهم وبطولاتهم».

ولاه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على المدائن وبقي واليًا عليها أول أيام الإمام الحسن المجتبي ثم عزله معاوية، وكان الإمام علي (عليه السلام) قد كتب إليه مادحًا إياه ومثنياً على حسن إدارته المالية: «أما بعد فقد وفّرت على المسلمين فيهم، وأطعت ربك، ونصحت إمامك فعل المتنزه العفيف، فقد حمدت أمرك ورضيت هديك، وأحببت رشدك غفر الله لك والسلام»^(١) وكان في طليعة جيش الإمام إلى صفين كما قاتل الخوارج.

والده: يعد في أجلة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما نص عليه غير واحد من المؤرخين،^(٢) وهو القائد للمسلمين في عدة معارك مع الفرس

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٢ / ٣٨٧: وكتب (عليه السلام) إلى سعد بن مسعود الثقفي عامله على المدائن وجوخي.

ومن العجيب بعد هذا أن نقرأ في كتاب المصنف لابن أبي شيبة ١٧ / ١٣٠، ما عن «عباد قال: أتى المختار علي بن أبي طالب بمال من المدائن وعليها عمه سعد بن مسعود، قال: فوضع المال بين يديه وعليه مقطعة حمراء، قال: فأدخل يده فاستخرج كيساً فيه نحو من خمس عشرة مائة، قال: هذا من أجور المومسات، قال: فقال علي: «لا حاجة لنا في أجور المومسات»!

وكأن حنقهم على المختار أدى بهم إلى اتهام عمه سعد بن مسعود بأن لديه في منطقته عواهر، وأنه يأخذ على فجورهن أموالاً وأنه يرسلها إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)! وقد علق المرحوم الأروبادي على هذا الحديث بعد أن ذكر ما فيه من اعتلال سندي، بالقول: «على أن اللائح على وجنة هذا النقل هو التقول والافتعال، فإن سعداً ذلك البر الصالح لم يكن بالذي يجعل الضرائب على المومسات فيبيح لهن الفجور الذي حرّمته شريعة الإسلام.. ثم يبعث بها إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه المعروف بخشونته في ذات الله، فيحط بذلك قدره عنده!

ولو غاضيناك على عدم المبالاة بالدين فهلا كان سعد يرضى منزلته عند إمامه؟ فكيف يكاشفه بما يعده حوباً كبيراً؟ ويوشك معه على إسقاطه عن الإمرة نهائياً..»

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ٤ / ١٤٦٥.



أيام الخليفة الثاني، فقد استنفر الخليفة المسلمين سنة ١٣ هـ، إلى قتال الفرس الذين جمعوا جمعاً كثيراً وكان قد واجههم المشنى بن حارثة في العراق، فاستطاعوا بكثرتهم أن يهزموه، فاستنجد بالمسلمين في المدينة، وخطب الخليفة في المسلمين أن «هذا المشنى بن حارثة قد أتاكم من العراق يدعوكم إلى جهاد عدوكم، فسارعوا رحمكم الله إلى ذلك ولا تتغافلوا عن الجهاد في سبيل الله. قال: فنكس القوم رؤوسهم إجلالاً وإعظاماً لغزو الفُرس، فوثب أبو عبيد بن مسعود الثقفي فقال: إنا سمعنا كلامك وأنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة والجهاد في سبيل الله، أنا ومن أجابني من قومي وعشيرتي..»^(١) وكان أول من نهض بين المسلمين في ذلك.

وانطلق والد المختار أبو عبيد الثقفي؛ قائداً على من معه وعلى من كان مع المشنى بن حارثة، فلقي أحد قادة الفرس المسمى جابان بين الحيرة والقادسية، ففض جمعه وقتله وأسر أصحابه، ثم أغار على كسكر فلقي نرسي فهزمهم الله، وبعث أبو عبيد المشنى بن حارثة إلى زندورد فحاربوه فقتل وسبى.

وكانت شهادته أخيراً في معركة الجسر، حيث استعد الفرس بعشرات الآلاف من المقاتلين ومعهم عدد من الفيلة، والتي كانت في ذلك الزمان أشبه بالمدرعات، فكانت الخيول تنهزم أمامها! ولكن أبا عبيدة واجه أعداءه بصلابته، واستطاع أن يقف أمام تلك الفيلة، وأن يضرب خرطوم بعضها، وانتهى به الأمر شهيداً فيما قيل حيث برك عليه أحد الفيلة، وعاد لربه شهيداً. واستشهد معه ابنه جبر.^(٢) كما استشهد معه

(١) الكوفي؛ أحمد بن أعثم الفتوح ١٣١/١.

(٢) البستي؛ أبو حاتم التميمي: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ٤٧/٢.

أخوه عبد الله بن مسعود^(١) وذكر محققا كتاب تحفة الوزراء^(٢) أن ابنه الثاني المختار كان معه في تلك المعارك. كما ذكر غيرهما أن المختار الذي كان عمره حينها نحو ١٣ سنة كان يحمل ويقاقل فيمنعه عمه من ذلك.

وتشير المصادر إلى أن المختار كان مع عمه أثناء ولايته على المدائن وأنه كان موضع ثقته، فقد ولّاه قتال الخارجين على أمير المؤمنين في تلك المناطق، وكان يرسله ببعض المال والخراج لأمر المؤمنين.

نشأته في المدينة: قد ذكرنا قبل قليل بأن ولادته كانت في الطائف في السنة الأولى للهجرة، وعن أيام طفولته، يتحدث المرحوم العلامة الأردوبادي عن مشهد من مشاهد «الحنان العلوي عليه ما رواه الأصبغ قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يمسخ رأسه ويقول: يا كيّس يا كيّس»^(٣) وقد استنتج من كلامه (عليه السلام) أنه لا يريد وصفه بما هو طفل لا يتمشى منه الكياسة، وإنما ما سيقوم به في قادم الأيام، وأنه ناظر إلى ما ورد من قولهم «المؤمن كيّس فطن»، «فكأنه كان نصب عينيه ما سوف ينوء به المختار من الدعوة إليهم وإثلاج صدورهم باستئصال شأفة واثريهم، مشفوعاً ذلك بحلم راجح وكياسة يمدح عليها، فهو من تنبّه الصادق ومغيباته الواقعة من حنكة المختار وحزمه في أمر الدين وتفانيه في ذلك..»^(٤).

(١) ابن عبد البر؛ الاستيعاب ٩٨٧/٣.

(٢) الثعالبي النيسابوري؛ عبد الملك تحفة الوزراء ١١٣.

(٣) الأردوبادي؛ العلامة محمد علي: موسوعة الأردوبادي سبيك النضار ٣٢/٩.

(٤) المصدر نفسه ٣٣.



ولا نعلم تاريخ هذه الحادثة بدقة لكن يفترض أن المختار حينها كان صغير السن بحيث يضعه أمير المؤمنين (عليه السلام) على فخذه، ولعلها في إحدى زيارات أبيه أبي عبيد إلى المدينة.

ويشير من ترجم حياة المختار (من محبين ومخالفين له) إلى أنه بعد شهادة أبيه رجع إلى المدينة المنورة، وعاش فيها منقطعاً إلى بني هاشم وهذا التصريح بالانقطاع إليهم نقطة مهمة للغاية، فهذا ابن حجر العسقلاني «فخرج أبو عبيدة فاستشهد يوم الجسر، وبقي ولده بالمدينة، وتزوج ابن عمر صفية بنت أبي عبيد، وأقام المختار بالمدينة منقطعاً إلى بني هاشم، ثم كان مع علي بالعراق، وسكن البصرة بعد علي»^(١).

ويفترض أنه بعد هذه الفترة تزوج بابنة النعمان بن بشير الأنصاري، وهي التي ستبقى معه إلى حين شهادته، وتصفه بشجاعة أمام مصعب بن الزبير الذي سيطر على الكوفة بعد شهادة المختار، بأنه من عباد الله الصالحين وأنه كثير الصيام والقيام، وكان ذلك مبرراً كافياً في نظر ابن الزبير وأخيه مصعب لكي تقتل بالسيف!

كما تزوج بابنة سمرة بن جندب، والتي طُلب منها أن تبدي رأياً فيه، فخافت من المصير الذي سبقتها إليه ضررتها، وقالت هو كما تقولون!

وباستثناء كونه مع أبيه في معركة الجسر سنة ١٣ هـ، والتي تم الإشارة إليها آنفاً، لم نعر له على دور متميز في أيام الخلفاء الثلاثة، أو أي نوع من العلاقة الخاصة، ولذلك يبقى ما جاء في بعض الروايات

(١) العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٧٧.

في المصادر الشيعية المشيرة إلى وجود حب في قلبه للخلفاء^(١) مما لا نفهمه !

بل يظهر من روايات مختلفة أنه كان شديد القرب من أهل البيت وأسرتهم، ففي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) ناقلا عن أبيه زين العابدين إنه كان «يسمر عند فاطمة بنت علي وكان ربما مهد لها الوسائد».

وأنه في زمان خلافة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان في صحبة عمه سعد بن مسعود الثقفي الذي ولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) على المدائن وجوخي، ودُكر أن عمه كان يعتمد عليه في مهمات كان بعضها إدارة المدائن^(٢) عندما كان العم يخرج في مواجهة الخوارج المتمردين على أمير المؤمنين (عليه السلام).

نعم نقلت مصادر مدرسة الخلفاء كأنساب الأشراف والطبقات الكبرى بأنه في أيام محاربة جيش الإمام الحسن (عليه السلام) لجيش معاوية كان له موقف حاول فيه إغراء عمه سعد بن مسعود بتسليم الإمام الحسن بعدما جُرح في منطقة ساباط من بعض خونة الجيش إلى معاوية، في مقابل أن يقيه معاوية على المدائن وجوخي! وأن سعدا عمه أنكر عليه ذلك وضم الإمام الحسن إلى داخل المدائن! وقد رد علماء من

(١) الطوسي؛ محمد بن الحسن الطائفة: تهذيب الأحكام ١/ ٤٦٧.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢٠٥: «وخرج عبد الله بن وهب الراسبي في جوف الليل، والتام إليه جميع أصحابه، فصاروا جمعا كبيرا منهم، فأخذوا على الأنبار، وتبطنوا شط الفرات حتى عبروا من قبل دير العاقول فاستقبله عدي بن حاتم، وهو منصرف إلى الكوفة، فاراد عبد الله أخذه، فمنعه منه عمرو بن مالك النبهاني وبشير بن يزيد البولاني، وكانا من رؤساء الخوارج، فاستخلف سعد بن مسعود على المدائن ابن أخيه، المختار ابن أبي عبيد، وخرج في طلب عبد الله بن وهب وأصحابه».



الشيعة هذه الرواية بأنها تقع في سياق تشويه سمعة وسيرة المختار وهو الأمر الذي اتخذته سياسة، باعتبار أن كتاب التاريخ والسيرة في الغالب إما أنهم أمويو النزعة أو زبيريوات الاتجاه، ومن مصلحة هؤلاء تشويه سمعته على كل المستويات كما سيأتي في الحديث عن حجم الدعايات والاشاعات التي بثوها عنه، وبالإضافة إلى ذلك فقد نقل العلامة الأردوبادي الحادثة عن مجالس المؤمنين للقاضي التستري بنحو آخر لا يتنافى مع مكانة المختار الثقفي، قال: «وقد جاء بذلك حديث معتبر^(١) أثبتته القاضي نور الله التستري في مجالس المؤمنين من أن الصحيح من قصته أن الإمام لما دخل الموصل خشي المختار عليه بادرة من عمه أو أن يصيبه بسوء طمعا في معاوية فلقي شريك الأعور الحارثي - وكان من الشيعة حازماً له رأي وسداد - باكياً فقص له هاجسته وسأله عن وجه الحيلة إن مالت بعمه المطامع، فأشار عليه شريك بأن يبدي لسعد ما يوافق تلك الهاجسة من الغدر بالإمام (عليه السلام) طلباً لمرضاة معاوية فإن وافقه عليه نظروا في الحيلة للتحفظ به وإخراجه إلى جهة من الجهات ليسلم بها»^(٢).

وإني - مع ذلك - أستبعد الخبر جداً الذي نقله البلاذري وابن سعد في الأنساب والطبقات ولا أرى له حقيقة، فإن المختار وهو ذكي بإجماع من عرفه حتى أعدائه، كان يعرف مقدار ولاء عمه سعد لأهل البيت والأئمة وهو والي أمير المؤمنين (عليه السلام) في المنطقة منذ خمس سنوات، وقد نقلنا شيئاً عنه في الصفحات الماضية، ونعلم أيضاً أنه

(١) لعل سيد الطائفة الخوئي في معجم رجال الحديث ١٩/١٠٥ يشير إلى هذا في قوله «وقد ذكر بعض الأفاضل أنه وجد رواية بذلك عن المعصوم (عليه السلام)».

(٢) الأردوبادي: سبيك النصار ص ١٣٩.

على عدااء شديد مع بني أمية! فكيف يقدم على أن يعرض الخيانة على عمه؟ حتى لو كان من باب الاختبار وهو ما وجه به القاضي التستري الخبر وصاغه بذلك النحو، وارتضاه المرحوم السيد الخوئي والعلامة الأردوبادي.. وأرى أن الجميع قد استسلموا لكون الخبر حقيقة ثابتة فكان أن عمدوا إلى توجيهه وتفسيره!

مع شهادة الإمام الحسن، وإمامة الإمام الحسين (عليه السلام) ثم تحرك الإمام الحسين ناهضاً بثورته ضد الحكم الأموي، ووصله إلى مكة المكرمة، فقد أرسل الإمام الحسين سفيره وثقته مسلماً بن عقيل إلى الكوفة، وأوصاه أن ينزل عند أوثق أهلها؛ فكان أن نزل في أول أمره في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، ويستفيد مترجمو المختار من هذه الإشارة فوائد كثيرة، في تعظيم شأن المختار فإنه سواء كان قد استفيد هذا التطبيق على مصداق دار المختار من عند الحسين (عليه السلام)، بمعنى أنه أشار إليه صريحاً، أو كان استنتاجاً من خلال معرفة مسلم بن عقيل وشيعة الكوفة.

بدأ مسلم بن عقيل في مرحلته الأولى يبايع للناس من دار المختار، وقد ساعده على ذلك أن الوالي على الكوفة حينئذ كان النعمان بن بشير الانصاري، وكانت بنته زوجة المختار الثقفي مخلصة لزوجها، وفي نفس الوقت لم يكن النعمان يتعجل المواجهة العسكرية مع مسلم بن عقيل! فكان اختيار دار المختار من قبل مسلم بن عقيل موفقاً لأداء مهمته.

لكن الأمر تغير بشكل جذري عندما جاء عبيد الله بن زياد والي البصرة الشرس والذي جاء إلى الكوفة والياً عليها، ليعزل النعمان بن



بشير فوراً، ويظهر أنه اطلع من خلال جواسيسه أن مسلماً في بيت المختار أو على الأقل أن يكون المختار ممن يأخذ البيعة من الناس لمسلم بن عقيل، وإذا كان النعمان بن بشير الوالي السابق يتغاضى عن الأمر فهذا الرجل لن يتغاضى فما كان منه إلا أن أمر بحبس المختار واعتقاله،^(١) في ضمن موجة من الاعتقالات شملت رؤوس الشيعة وأعيان أهل الكوفة، فالذي اختفى نجا ومن تمكنوا منه اعتقلوه وحبسوه، وقد مر علينا في البحث عن حركة سليمان بن صرد ذكر هذا الأمر، وبقي المختار في سجن عبيد الله بن زياد إلى ما بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث ستطلب صفية أخت المختار من زوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب^(٢) أن يتوسط للمختار عند يزيد بن معاوية في إطلاق سراحه.

ويزيد الذي كان يريد تحسين صورته بعدما قبحت بقتل الحسين (عليه السلام)، لم يكن لديه مانع في هذا لا سيما وأنه لا يضره هذا الأمر شيئاً في زعمه، لا سيما وقد انتهت نهضة الحسين، فلا حاجة لاعتقال هذا العدد الكبير من شخصيات الشيعة في الكوفة، وإن كان عبيد الله بن زياد لم يشبع نهمته حتى الآن من دمائهم!

(١) الحلي؛ ابن نما: ذوب النصار ص ٦٨: ووجه الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فأُسكنه المختار داره وبايعه، فلما قتل مسلم رحمه الله سُعي بالمختار إلى عبيد الله بن زياد - لعنه الله - فأحضره، وقال له: يا ابن عبيدة، أنت المبايع لأعدائنا؟ فشهد له عمرو بن حريث أنه لم يفعل.

فقال عبيد الله بن زياد: لولا شهادة عمرو لقتلتك، وشتمه وضربه بقضيب في يده فشر عينه، وحبسه وحبس أيضاً عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب. وكان في الحبس ميثم التمار.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ٥/ ٥٧١.

على أثر تلك الوساطة ورد أمر يزيد لابن زياد بأن يطلق سراح المختار، وابن زياد الذي لم يكن ليفعل ذلك لولا أمر أميره لمعرفته بالمختار وموقعه، أحضره وأخبره أنه قد أطلق سراحه بأمر يزيد، وأنه إن وجده في الكوفة بعد ثلاثة أيام سيضرب عنقه!

وغادر المختار الثقفى الكوفة إلى مدينة الطائف حيث سيقى فيها مدة من الزمان، بينما كانت الكوفة تغلي على مرجل الغضب مما ارتكبه بنو أمية بأهل البيت (عليهم السلام) وأنصارهم في كربلاء مما سيكون مقدمة لتحرك سليمان بن صرد ومن معه من التوابين التواقين إلى الشهادة. وفي المدينة المنورة كانت الأوضاع متأزمة بفعل ما رآه الوفد المدني من انتهاكات صارخة للقيم الدينية والأخلاقية عند يزيد على أثر زيارتهم له! وفي مكة المكرمة كان ابن الزبير الخب الضب، طالب الدنيا بظاهر الآخرة يتهيا ليقطف ثمار كل هذه الجهود بزعمه حينما يُضعف هؤلاء بني أمية فيأتي (على الجاهز).

لم تمض ثلاث سنوات من شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) حتى هلك يزيد بعدما ارتكب من الآثام ما لم يرتكبه الطغاة في ثلاثين سنة، وانفلت الأمر من يد الأمويين في الكوفة وغيرها. وahan للمختار أن يقوم بدوره المنتظر منه.

في هذه الأثناء وكان قد ذهب المختار إلى مكة (ربما للحج أو العمرة)^(١) وكما هي طريقة ابن الزبير في محاولة اصطياذ الفرص من

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٦/ ٣٧٨. «وأقبل المختار فطاف بالبيت وصلى عند الحجر ركعتين، ثم جلس واجتمع إليه قوم يسلّمون عليه، واستبطأه ابن الزبير فقال له بعضهم: قم إليه فقد استبطأك؟ فقال أتيتُه عامًّا أوّلَ فعرّضت عليه نفسي فرأيتُه منحرفًا عني، والله إنّه إليّ لأحوج منّي إليه، فقال له عباس بن سهل بن سعد الساعدي: إنك أتيتُه =



أين أتت! فقد أرسل إلى المختار من يغريه بمبايعة ابن الزبير، وكان المختار أذكى من أن يؤمن بابن الزبير وهو يعرفه كما يعرف أصابع يديه! ولكنه أظهر التجاوب معه، لكي يكون رجوعه إلى الكوفة عادياً ولكيلا يصطدم به ولادة ابن الزبير الذين بادر إلى تعيينهم للسيطرة على الوضع!

♦ صفاته وميزاته:

١/ يتفق مؤيدوه ومعارضوه على شخصيته الاستثنائية والتميزة، فمن جهة كان له قدرة بلاغية متميزة يلاحظها كل من تأمل في خطابه وكتبه التي أرسلها، والغالب على جملة أنها مسجوعة، والسجع إذا جاء في موضعه وبلا تكلف أعطى قوة للكلام ليست لما خلا عنه!

وبالرغم من أن بعض المعادين له جعل هذا سبباً عليه، وأنه بذلك يضاهي القرآن ويريد إقناع الناس أنه وحي، لكن نعتقد أن هذا التوجيه منطلق من جهة العداوة له. وإلا فلم يدع شخصياً أن كلامه وحي!

وقد عبر عن هذه الحقيقة العالم الفقيه ابن نما الحلبي وهو من مشايخ العلامة الحلبي (ت ٦٨٠هـ) بقوله: «وكان المختار ذا مقول مشحوذ الغرار، مأمون العثار، ان نثر سجع، وان نطق برع»^(١).

= نهاراً، وهذا أمر تضرب عليه الستور، فأتته ليلاً، فقال: أنا فاعل، فلما كان الليل أتاه عباس، فمضيا جميعاً حتى دخلا على ابن الزبير فسلم عليه ابن الزبير وصافحه، فابتدأ المختار القول فقال: إنه لا خير في الإكثار من المنطق، ولا حظ في التقصير عن الحاجة، وقد جئتكم لأبأبعك على أن لا تقضي أمراً دوني، وعلى أن أكون أول من تأذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك؟

(١) ابن نما الحلبي: ذوب النصار ص ٦٧.

٢/ وكان إضافة إلى ذلك «ذا عقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفورة، وفطنة تدرك الأشياء بفراسستها، وهمة تعلو على الفراقد بنفاستها، وحدس مصيب، وكف في الحروب مجيب، وقد مارس التجارب فحنكته، ولامس الخطوب فهدبته».^(١)

(١) المصدر نفسه ٦١.

المختار في الكوفة من جديد



عاد المختار إلى الكوفة في سنة ٦٥ هـ، كما يفترض لأنه تزامنت عودته إليها مع تولية ابن الزبير لعبد الله بن مطيع إياها وكانت ولايته في أول سنة ٦٥ هـ.^(١)

ثم إن «المختار بن أبي عبيد الثقفي جعل يختلف بالكوفة إلى شيعة بني هاشم، ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين، فاستجاب له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة... وكان على الكوفة يومئذ من قبل عبد الله بن الزبير، عبد الله بن مطيع، فأرسل ابن مطيع إلى المختار: ما هذه الجماعات التي تغدو وتروح إليك؟

فقال المختار: مريض، يُعاد.

فلم يزل كذلك حتى قال له نصحاءؤه: عليك بإبراهيم بن الاشر، فاستمله إليك، فانه متى شايعك على أمر ظفرت به، وقضيت حاجتك». ^(٢)

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير ١٤٦/٧.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢٨٨.

ومن خلال تحديد وقت وصوله إلى الكوفة وهو أول سنة ٦٥ هـ،^(١) من جهة وشهادة سليمان بن صرد الخزاعي من جهة أخرى وكانت بعد ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ، يمكن لنا أن نرد ما زعمه مخالفو المختار من أنه كان دائم الشيط للشيعية عن الخروج مع سليمان بن صرد، حيث كان المختار في هذه الفترة القصيرة ما بين وصوله وشهادة سليمان مشغولاً بالإعداد لحركة الثأر والانتقام من قتلة الإمام الحسين، خاصة وأن الذين رووا هذه الكلمات إنما كانوا في صف أعدائه وهم الأمويون سابقاً والزييريون لاحقاً.

فإن البلاذري ينقل عن مجموعة من قتلة الحسين، وهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، وشبث بن ربعي الرياحي، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم وكانوا يقولون لعبد الله بن يزيد الخطمي، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله عاملي ابن الزبير على الكوفة، بعد خروج ابن صرد: إن المختار بن أبي عبيد أشدّ عليكم من ابن صرد، وهو يقول إذا ذكر ابن صرد: إنه عشمة من العشم وحفش من الأحفاش بال، ليس بذئ تجربة للأمور، ولا علم بالحروب!^(٢)

وللعقل أن يتوقف في قبول خبر ينقله مثل أولئك الفساق القتلة والذين كانوا في مقام التحريض على المختار من جهة والإهانة لسليمان من جهة أخرى! ثم إن صاحب الخبر يقول إنهم كانوا يقولون

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير ١٤٦/٧: وأما لو قلنا بما ذكره البلاذري في «أنساب الأشراف» ٣٨٢/٦ من أن ابن الزبير ولّى عبد الله بن مطيع بن الأسود الكوفة، فقدمها في شهر رمضان سنة خمس وستين، فالأمر يكون أكثر وضوحاً في كذب تلك الجماعة إذ يكون المختار وصل الكوفة بعد شهادة سليمان وأنصاره، فمتى كان يخذل الناس عنهم ويثبطهم؟

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٧٣/٦.

ذلك لعبد الله بن يزيد الخطمي والي الزبير ذلك، ولم يكن المختار قد وصل الكوفة إلى ذلك الحين، لأنه قد ذكر بأن وصول المختار للكوفة توافق مع عزل عبد الله بن يزيد، وتولية ابن مطيع، فمتى عرفوا عن المختار ذلك، وأخبروا عبد الله بن يزيد؟ والفرص أنه لم يصل المختار إلى الكوفة حتى ذلك الوقت؟

ويزيدك بياناً في أن ما ذكره من تشييطه عن المختار أنهم زعموا أنه كان مسجوناً عند ولاية الزبيريين، وأنه لما عاد بقايا الناجين من التوابين من معركة عين الوردية بينهم وبين ابن زياد، كان المختار محبوساً.^(١)

نعم كان يختلف في منهجه عن الشهيد سليمان بن صرد وهذا ما أشرنا إليه في صفحات سابقة عند الحديث عن الشهيد سليمان بن صرد والتوابين، فقد كان رأي المختار أن يستلم الحكم في الكوفة وأن ينتقم من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام). بخلاف منهج الشهيد سليمان بن صرد الذي كان يرى أن الأفضل هو أن يقطع رأس الأفعى المتصدر لجمع بني أمية وهو عبيد الله بن زياد، وكبار القادة العسكريين الذي اعتصموا بالشام وتجمعوا فيها، وأن عليه أن يقاتل أولئك، فإن قضى عليهم فسيكون القضاء على من هو بالكوفة أسهل وأيسر، بينما كان رأي المختار أن يسيطر على الكوفة، ويتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) فيها وفي غيرها فيما بعد.

ولم يمنع هذا الاختلاف المختارَ من أن يرسل لمن رجع من أنصار سليمان ناجياً من المعركة مثنياً على قائد الحركة وأنصاره الشهداء، وداعياً الراجعين إلى إعادة الكرة معه فكتب لهم: «أمّا بعد فمرحبا

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٦٠٥/٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٦٩/٣ وغيرهما.

بالعصبة الذين حكم الله لهم بالأجر حين رحلوا، ورضي انصرافهم حين أقبلوا، إنّ سليمان بن صرد رحمه الله تعالى قضى ما عليه وتوفاه الله إليه، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي تنتظرون، ولكنّي الأمر والمأمور وقاتل الجبارين فأعدّوا واستعدّوا فإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفة وجهاد المحلّين».

إن ما ساعد حركة المختار الثقفي على التنامي، بالإضافة إلى ميزاته الشخصية والقيادية، رجوع التوابين من المعركة، وسوء إدارة الزبيريين للكوفة، واصطدامهم بالشيعة من خلال كلمات إبراهيم بن محمد بن طلحة الذي كان على الخراج والمال، ولكنه كان ينطلق من عداوة وإحنة تستمد من حرب الجمل! وقد سبق أن ذكرنا شيئاً من كلماته وردود الشيعة عليه، وكذلك إعلان عبد الله بن مطيع العدوي الذي ولي الكوفة بعدما عزل عنها عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري الذي أشرنا إلى أنه كان يميل لشيعة أمير المؤمنين، بخلاف هذا الذي جاء ومن اليوم الأول حصل على معارضة علنية عندما أخبر في خطبته أنه سيسير بسيرة أبي بكر وعمر، وكان في ذلك تحدّ لأهل الكوفة الذين قاموا في وجهه وأبوا إلا سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وزاد ضِعْفاً على إبالة! أنه جمع حوله القادة العسكريين الذين شاركوا في قتل الحسين (عليه السلام) باعتبار أنهم من شخصيات الكوفة، وكان يحتاج إليهم لتثبيت موقعه! فصار هؤلاء سادة مجلسه والمبرزين فيه!

وكل ذلك لم يأت على أثر انتخاب شعبي أو قبول بيعة ابن الزبير، فضلا عن التعيين الإلهي! وإنما أرسل إليهم ابن الزبير هؤلاء الولاة في



فترة الفوضى وبعدما خلع أهل الكوفة والي بني أمية!

كل تلك الأمور جعلت الفرصة مهيأة للمختار الثقفي لينهض بسرعة، ويسيطر على الأوضاع ويعلن خلع عبد الله بن مطيع العدوي والي ابن الزبير، وانقسمت الكوفة إلى قسمين رئيسيين: أغلبية الناس وهم أصحاب الهوى الشيعي والعلوي صاروا إلى المختار، ومعهم جموع من الذين أطلقوا من السجون، ومعهم التوابون العائدون من معركة عين الورد، وردف هؤلاء جموع كبيرة من الموالى وغير العرب الذين عاشوا التمييز العنصري المقيت! من أيام الأمويين وإلى أيامهم تلك، وكانوا يرون فيمن تصدى لنصرة ابن الزبير امتداداً لمعاناتهم وظلاماتهم!

وقد تصدى لقيادة هذه الجموع قائد مدبر وشجاع وهو المختار. مستعيناً بإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي.

وفي مقابلهم كان بقايا أنصار الأمويين وقتلة الإمام الحسين، ومن لهم هوى في ابن الزبير ومن كان من أهل الدنيا ويعتقد أن خلافة ابن الزبير هي المنتصرة، فالسير معها يضمن لهم أموالاً ومصالح. واجتمع هؤلاء تحت رايات متعددة لكنها تنتهي إلى هدف واحد وهو محاربة المختار!

وكان من الواضح أن إيمان الفريق الأول بقضيتهم، والتي يفترض أنها السيطرة على الكوفة تمهيداً للاقتصاص من قتلة الحسين، وصولاً إلى السيطرة على مناطق إسلامية أخرى، أقوى من دوافع الفريق الثاني الذين كانوا بين من يفكر في النجاة بنفسه بأي طريقة كما هو حال قتلة الحسين (عليه السلام)، أو أنهم كانوا يوازنون بين العطاءات المترتبة والتضحيات الفعلية والحاضرة.

وبعد معارك لا نحتاج أن نذكر تفاصيلها، وهي موجودة في الكتب التاريخية، تحققت الهزيمة لأنصار ابن الزبير وأصبح المختار سيد الكوفة الجديد. وكان لإبراهيم بن مالك الأشتر القائد العسكري المحنك الدور الأكبر في تحقيق نصر المختار.

بعد أن سيطر المختار على الكوفة آخر ذي الحجة سنة ٦٦ هـ، بدأ ببرنامجه الذي أعلنه مراراً والذي كان منطلق حركته، وهو تتبع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، ومعاقتهم. فقتل من الأسرى من شرك في قتل الإمام الحسين وأصحابه، «وأمر بإطلاق كل من بقي من الأسارى، وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجمعوا عليه عدواً، ولا يبغيوه وأصحابه غائلة، ونادى منادي المختار: من أغلق بابه فهو آمن، إلا من شرك في دماء آل محمد»^(١) وقد ذكرنا بالتفصيل في كتاب عصابة الإثم؛ من قتل الإمام الحسين؟ تفصيلاً وترجمة بأسماء من انتقم منهم المختار الثقفي.

وكان من الطبيعي أن يواجه المختار الثقفي بني أمية فإنهم هم الذين أسسوا أساس الظلم وبنوا عليه حتى حصل في كربلاء ما حصل! وهم الآن مجتمعون في بلاد الشام، ويدير الطاغية ابن زياد العملية حتى في تجديد خلافتهم، فهو الذي أقنع مروان بن الحكم أن يرشح نفسه ويتصدى لأمر الخلافة، فلا تعجب أن يكون طريد رسول الله ولعينه هو «أمير المؤمنين الجديد»! ومنعه من مبايعة عبد الله بن الزبير وكان قد عزم على ذلك، فدبر الأمور وتحالف مع هذا وذاك حتى عاد مروان للواجهة!

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٣٠٨.

ولأجل أن يسيطر على الخلافة (وقد صارت نهباً لمن يستطيع الوصول لها) فقد أرسل جيشاً كبيراً بقصد مواجهة المختار الثقفي في العراق، وبعده مصعب بن الزبير نائب أخيه عبد الله.

وفي المقابل فقد جهز المختار أنصاره وجعل عليهم إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، وفي سنة ٦٧ هـ انطلق جيشه إلى جهة شمال العراق ليلقي جيش بني أمية الذي انطلق من الشام، حتى وصل جيش إبراهيم وكان أقل بكثير من جيش الأمويين إلى قرب الموصل، حيث تواقف الطرفان على نهر الخازر، وهناك استطاع إبراهيم أن يضمن الاتفاق مع أحد قادة جيش ابن زياد، وكان حائقاً على الأمويين لينهزم بأصحابه حين يشتد القتال، وعباً جيشه وصفهم وكان مما قال لهم «يا أنصار الدين، وشيعة الحق، وشرطة الله، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي، ابن فاطمة بنت رسول الله، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه، وهم ينظرون إليه».^(١) وأبلى المقاتلون مع إبراهيم بلاء حسناً، وانتهت المعركة حين هلك عبيد الله بن زياد بسيف إبراهيم الأشتر، والحصين بن نمير فقد «قال ابن الأشتر: قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك، شرقت يدها وغربت رجلاه، تحت راية منفردة، على شاطئ نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً، ضربه ففقدته بنصفين، فذهبت رجلاه في المشرق، ويدها في المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، ونادى التغلبي: اقتلوني وابن الزانية، فقتل ابن نمير».^(٢)

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٦ / ٨٨.

(٢) المصدر نفسه ٩٠.

«وبينما كان زين العابدين السجاد (عليه السلام) في المدينة على مائدة طعام وإذا بالباب يطرق.. ومع الطارق رأس عبيد الله بن زياد أرسله المختار إليه بعد أن قتله إبراهيم بن الأشتر في المعركة، قسمه - بضربة - نصفين ثم أحرقت جثته واحتز رأسه.

لقد استطاع المختار أن يهزم - بقيادة إبراهيم بن الأشتر - جيش عبيد الله بن زياد وأن يقتله، وأن يتتبع من بقي من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام). وتفاقم أمره، وقوي سلطانه، وكان عبد الله بن الزبير يرقب كل ذلك بعين أضيّق من سم الخياط حسداً، فإذا كان قد ترك الصلاة على الرسول عناداً لأهل بيته، وحسداً لهم، فما هو فاعل إذا نشأت دولة باسمهم في الكوفة وأخذت تتوسع؟!.

لقد عبر ابن الزبير عن ذلك بأن أخذ محمد بن الحنفية وعدداً من بني هاشم ممن كان في مكة، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة كانوا في مكة حينها من بينهم أبو الطفيل عامر بن واثلة، فأجبرهم على البيعة، ولما امتنعوا حبسهم بزمزم وتوعدهم بالإحراق!! وضرب لذلك أجلاً.. إلا أن المختار استطاع أن ينقذهم عندما بعث عدة سرايا إلى مكة، واستنقذوهم منه.

في مواجهة ذلك النفوذ الذي حصل للمختار بعث عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً والياً على البصرة لينطلق منها بجيش لقتال المختار..

والتحم الجيشان في منطقة حروراء من أرض الجزيرة، ولم يستطع الكوفيون الذين قد فرغوا لتوهم من معركة قاسية مع جيش ابن زياد، الصمود أمام جيش البصرة ذي العدد والعدة.. وأتى خبر الهزيمة المختار في الكوفة.. فنهض برجولة وقال: ما من الموت بد، وما



من ميتة أموتها أحب إليّ من ميتة ابن شميطة. «وكان ابن شميطة من أصحابه قد واجه منفرداً عشرات من خيالة مصعب حتى استشهد».

وإذا كان يحلو لبعض القادة عندما يرون الريح في غير جهتهم أن يستسلموا وينهزموا، فإن المختار قد فعل فعلَ الرجال الصادقين، فقد تطيب وتحنط ونزل من القصر في تسعة عشر رجلاً وقد أحكم جيش مصعب الحصار حوله فقاتل عامة ليلته ثم استشهد...

وإذا كانت البطولة قد نضحت من إناء المختار فإن مصعباً كان يعبر بأفعاله عن اللقب الذي ارتضاه لنفسه «الجزار». وأتى بحرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه ففعلن إلاّ حرميتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري والثانية ابنة النعمان بن بشير الأنصاري، وقالت: كيف نتبرأ من رجل يقول ربي الله؟ كان صائم نهاره قائم ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس؟.

فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله يخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه: إن هما رجعت عمّا هما عليه وتبرأتا منه وإلاّ فاقتلهما»^(١).

وإذا كان المختار الثقفي قد «أمر بإطلاق كل من بقي من الأسارى، وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوا، ولا يبغوه وأصحابه غائلة، ونادى منادي المختار: من أغلق بابه فهو آمن، إلا من شرك في دماء آل محمد» فإن العائد بالبيت (!) وأخاه مصعباً قد آمن أصحاب المختار، ثم قدمهم للقتل واحداً بعد آخر فكان في نهاية حفلة الدماء تلك خمسة آلاف ضحية! الأمر الذي جعل عبد الله بن عمر بن

(١) العصامي؛ عبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٣/ ٢٤٤.

الخطاب وهو الذي حاول أن يعتزل الأمور لكن هول هذه الجريمة ما تركته يسكت فقد ذكر ابن أبي شيبه، أنه «أتى مصعب بن الزبير عبد الله بن عمر وهو يطوف بين الصفا والمروة فقال: من أنت؟ فقال: ابن أختك مصعب بن الزبير! قال: صاحب العراق؟ قال: نعم، جئتكم لأسألكم عن قوم خلعوا الطاعة وسفكوا الدماء وحثوا الأموال فقتلوا فغلبوا فدخلوا قصرًا فتحصنوا فيه ثم سألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا^(١)، قال: وكم العدة؟ قال: خمسة آلاف، قال: فسبح ابن عمر عند ذلك وقال: والله يا ابن الزبير! لو أن رجلاً أتى ماشية للزبير فذبح منها في غداة خمسة آلاف أكنت تراه مسرفاً؟ قال: نعم، قال: فتراه إسرافاً في بهائم لا تدري ما الله. وتستحله ممن هلل الله يوماً واحداً؟.

(١) ولم يذكروا عند حديثهم عن «خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير» وأخيه مصعب، حديث رسول الله (ﷺ) كما في مسند أحمد ٣٦ / ٢٧٧: «من أمن رجلاً على نفسه فقتله، أعطي لواء الغدر يوم القيامة» فكيف إذا أعطى الأمان لخمسة آلاف ثم قتلهم؟

ماذا قالت مدرسة الخلفاء عن المختار؟



من الطبيعي أن تكون أدبيات مدرسة الخلفاء معادية للمختار الثقفي، فإن تلك الأدبيات إما أن تكون متأثرة بالاتجاه الأموي، أو بالاتجاه الزبيري وكلاهما يعد المختار مارقاً من الدين! ويضيف العلامة الاردوبادي ملاحظة وهي: «أن عوامل الحقد على المختار أقوى منها على غيره لأنه شفع دعوته العلوية بنهضة اجتاحت ما وسعها من جذوم النصب ولو في ظروف محدودة فإذا لم يسعهم أن يوسعوه ضرباً بالسيوف وهو رهن أطباق الثرى تناوشوه باللسنة حداد شتما وبهتا ووضعاً للاحاديث في نقصه»^(١).

فإننا نلاحظ أن الحديث الذي اعتمدت عليه هذه المدرسة في ذم المختار هو الذي ورد عن أسماء بنت أبي بكر أم عبد الله بن الزبير^(٢) الذي كان على خط المواجهة مع المختار! وفي مثل هذه الحالة لن

(١) الاردوبادي: سبيك النصار ص ١٣٩.

(٢) النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ١٩٧٢ / ٤: عن أسماء بنت أبي بكر «أما إن رسول الله (ﷺ) حدثنا «أن في ثقيف كذاباً ومييراً» فأما الكذاب فرأيناه. وأما المبير فلا إخالك إلا إياه».

تشهد أسماء لعدو ابنها كما شهدت له زوجته بأنه قائم الليل وصائم النهار ومتق لله!

على أن هذا الحديث الذي يروونه عنها ليس فيه تصريح باسم المختار، وإنما قالت أما الكذاب فقد رأيناه! وإنما هو استنتاج ممن بعدها. بينما بالنسبة للحجاج هو تصريح! ومع ذلك فإنهم ألغوا لقب الحجاج الذي جاء في حديثها ووصفوه بأفضل الصفات. بينما لم يذكروا المختار الثقفي إلا ومعه لقب الكذاب!^(١)

ثم إنك تجد اضطراباً عجيباً في تلقيهم المختار، وتحديد هم صفته، مما يشير إما إلى الجهل به أو إلى أنه يراد إسقاط شخصيته بأي طريقة كانت! فلنبداً وننقل لك عزيزي القارئ ما قالوه:

١/ المختار كان أولاً ناصبياً يبغض علي بن أبي طالب بغضاً شديداً!!
هذا ما اكتشفه ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) وذكره في كتابه البداية والنهاية.^(٢) تصور هذا الكلام البائس وتصور كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في شأنه والتي سيأتي عرضها ومنها ترحم الإمام الباقر (عليه السلام) عليه

(١) أجريت بحثاً بالكمبيوتر في المكتبة الشاملة وفيها مصادر مدرسة الخلفاء، عن اللقيين: الحجاج المبير، والمختار الكذاب، فوجدت أن هناك ٩٠ مورداً في مواضع مختلفة بعنوان المختار الكذاب، وبعضها لا يرتبط الموضوع بكذبه وصدقه، وإنما هو لتأكيد هذه الفكرة بتكرارها، فهم يقولون مثلاً في نسبة والده، وهو والد المختار الكذاب، بل حتى في نسبة أخته، وهي أخت المختار الكذاب.. وهناك حوالي ٤٠ مورداً جاءت بعنوان الكذاب المختار، وهكذا. وفي المقابل ما وجدت إلا أربعة موارد ذكر فيها الحجاج بعنوان الحجاج المبير، و ١٠ بعنوان المبير الحجاج.. وأكثرها من كتاب متأخرين! وهذا يبين الانتقائية الموجودة لدى علماء هذه المدرسة، فإذا كان الحديث صحيحاً، وكان ذلك اللقب صادراً عن النبي كما قالت أسماء، فلماذا ذكر أحدهما وترك الآخر؟ أو أن باء أحدهما تجر وباء الآخر لا تجر؟ هذا مع ما سيأتي من مناقشة للحديث.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٩/ ٤٤.



مخاطباً ابن المختار «رحم الله أباك! رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد الا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا»^(١).

ونحتمل أن كلام ابن كثير مأخوذ من كلام البلاذري «وكان المختار عند الشيعة عثمانياً»^(٢) والعجيب أن البلاذري هذا قد كتب في نفس الصفحة وبعد الكلام السابق مباشرة «فلما بعث الحسين بن عليّ مسلم بن عقيل نزل دار المختار، فبايعه المختار فيمن بايعه سرّاً» فكيف يجتمع هذا والقول إنه كان عثمانياً يعني أمويّاً؟ وقد أمر الإمام الحسين مسلماً بن عقيل أن ينزل عند أوثق أهل الكوفة؟

٢/ وإذا كان ابن كثير قد أغرب وأتى بالعجب فأعجب منه كان ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) فهو في ستة أسطر أتى بما لا يخطر على البال، فهو في صفحة يقول في المختار: «ويقال إنه كان في أول أمره خارجياً، ثم صار زيديّاً، ثم صار رافضيّاً»^(٣) فكيف تجمع هذا الكوكبيل؟ ومتى كانت الخوارج؟ والحال أنه قد مر علينا في صفحات سابقة أنه كان ينوب عن عمه سعد بن مسعود في ولايته على المدائن، في حين كان يذهب عمه لقتال الخوارج، وفي بعضها كان هو يذهب لقتالهم؟ ثم كيف صار زيديّاً بعدما كان خارجياً والحال أنه استشهد سنة ٦٧ هـ قبل أن يولد زيد بن علي بن الحسين الذي نسبت إليه الزيدية؟ ولعل قائلًا يقول لعل ذلك من خطأ الطباعة! وهو الأمر الذي لم يلفت أي من «المحققين» لهذا الكتاب. فرضنا أن ذلك صحيح فماذا يعني قوله: «وكان قبل ذلك معدوداً في أهل الفضل والخير إلى أن

(١) الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٣٤٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٦/ ٣٧٦.

(٣) العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٧٦.

فارق ابن الزبير، وكان يتزيّن بطلب دم الحسين، ويسرّ طلب الدنيا، فيأتي بالكذب والجنون»^(١) فهل أن كونه خارجيًا يجعله معدودا في أهل الفضل والخير؟ وإنما فارق ابن الزبير بعد سنة ٦٤ هـ ولم يكن معه سوى سنة أو دونها!

و«ما أضمر امرؤ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه» فليلا يقول ابن حجر إنه كان من أهل الخير ما دام لم يطلب بثأر الحسين وأما بعد أن طلب بثأر الحسين فلا خير فيه ولا فضل!

ثم ماذا يعني: أنه كان يأتي بالكذب والجنون؟ قد عرفنا الكذب الذي تزعمون فما هو الجنون الذي كان يأتي به؟

٣/ وأما ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) فيظهر أنه لم يطلع على ما ذكره السابقون له من أنه ناصبي وخارجي وزيدي ويأتي بالجنون، وإنما قدم إلى هذه السوق بأن المختار «يدعي النبوة» وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على الكوفة! والثاني مثل الأول مما لم يقل به إلا مجازف! قال: «المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة بالكوفة وكان عاملاً عليها لعبد الله بن الزبير فانتقض عليه ودعا لمحمد بن الحنفية ثم ادعى النبوة»^(٢) برّبك أيها القارئ هل تستطيع أن تشرح لي كيف يدعي النبوة ويدعو إلى ابن الحنفية؟

٤/ ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) كأنه رأى أن ما سبق، لا يكفي للمختار فقال: إنه «كان متهمًا في دينه مظنونًا به الكفر»^(٣) هكذا مرة واحدة!.

(١) المصدر نفسه / ٢٧٥.

(٢) ابن خلدون؛ عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٧٠.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٣٥.



٥/ وبينما اكتفى عبد الله بن الزبير بالقول عن المختار إنه كذاب! والفرض أنه لم يبلغه حتى الآن كلام أمه أسماء لأن كلامها كان بعد مقتله وصلبه! فإنهم ذكروا أن عبد الله بن الزبير قال لابن عباس - وأخبره بأمر المختار - فرأى منه توجّعًا وإكبارًا لقتله أتتوجع لابن أبي عبيد وتكره أن تسميه كذابًا؟ فقال له: ما جزاؤه ذلك منا، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا وشفى غليل صدورنا.^(١) هذا مع أنه تحت سلطة ابن الزبير، ولم يتناول المختار إلا بما قرأت، رافضًا أن يسميه بالكذاب بالرغم من أن هذه هي السياسة الرسمية لابن الزبير!

إذا كان عبد الله بن الزبير اكتفى بالقول بأنه كذاب، فإن أخاه مصعبًا اعتبر المختار بل وأتباعه الذين قتلهم في نهار واحد، اعترهم سحرة كفرة!

«وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعن عوانة قالاً: لما قدم مصعب على أخيه بعد قتل المختار، قال له ابن عمر: أنت الذي قتلت ستة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة على دم؟ فقال: إنهم كانوا سحرة كفرة، فقال له: والله لو كانوا غنما من تراث الزبير لقد كان ما أتيت عظيمًا.^(٢) وقد ذكرهم في كلماته فقال «المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر، وكادوا بالسحر».^(٣)

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٦ / ٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ٦ / ١١١.



178



أنه رأى عبد الله بن عمر وقد زار عبد الله بن الزبير حين كان مصلوباً.. إلى أن يقول؛ أن الحجاج جاء إلى أسماء بنت أبي بكر وسألها كيف رأت صنعه بعدو الله؟ يقصد ابنها، فأجابته، وقالت في تلك الإجابة: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ».

ورواه الحاكم في المستدرک، بهذا النحو: «يخرج من ثقيف كذابان؛ الآخر منهما أشر من الأول وهو المبير وما هو إلا أنت يا حجاج».

وقد علق العلامة المرحوم الأردوبادي على الحديث بقوله: فأين يكون محل شهادة الصحابة على تطبيق الكذاب الأول بالمختار؟

وكذلك عندما نقل ما رواه الترمذي في السنن من الحديث بأسانيده المختلفة، أعقبه بالقول: «ويقال: الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف».^(١)

وقد علق عليه المرحوم الأردوبادي بالقول: «والباحث جدٌ خبير بأن ذلك مجرد تخرص نقله أبو عيسى الترمذي عن قائل مجهول هو غير أسماء، وأما هي فلم يعز إليها شيء من ذلك».^(٢) ومن ذا الذي يقيم وزناً لذلك الخرص النائي عن المستند العاري عن أي مسدد له، ومن ذا الذي يسعه الجزم بشيء أهمل ذكره صاحب الرسالة ولم يخبر به من سمعه منه بمجرد التشهي؟ على أن في ثقيف أناساً يمكن إرادة كل منهم في الحديث؛ كالمغيرة بن شعبة الماكر الخداع، والخنس بن شريق بن عمرو اللعين على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما خاطب به

(١) الترمذي؛ أبو عيسى: سنن الترمذي ٤ / ٢٨١.

(٢) الأردوبادي: سبيك النصار ص ٢٢٤.

ابنه المغيرة بن الأخنس؛ إذ قال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيك علياً! فقال (عليه السلام): يا بن اللعين الأبتري.. الخ، وولده المغيرة هذا وأخيه الحكم بن الأخنس المقتول بسيف علي (عليه السلام) كافراً في أحد. إذن فليس لأي متهور في حكم الاسترسال في تخصيص تلك الكلمة المبهمة بالمختار^(١).

ونظراً لأن أتباع مدرسة الخلفاء كانوا في طول الوقت أصحاب السيطرة والسلطة، فصار الأمر كما نراه في هذه الأيام من أن الأجهزة الإعلامية تستطيع أن تقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، ومع التركيز والاستمرار عليه تأتي أجيال لا ترى الواقع إلا بعين هذه الأجهزة!

أخذت تلك الأجهزة من كتب تاريخية، ومن مصنفات روائية وحديثة، وتبعها جيش من أئمة الجمع والجماعات، وآلاف من القصاصين، يتداولون هذه الافتراءات على المختار بن أبي عبيد الثقفي، بالنحو المتناقض الذي ذكرنا بعضه فيما سبق، من أنه تارة خارجي وأخرى زيدي، وثالثة زبيرى، ورابعة مدع للنبوة، وخامسة من أنه كذاب، وسادسة كافر.. إلى آخر تلك القائمة، فصار المختار الذي قتل قتلة الحسين وزوج أراملهم وأحسن إلى من بقي من أهل البيت كما تشير الروايات هو بهذه المثابة التي ذكرت في مصادر ومصنفات مدرسة الخلفاء.

(١) المصدر نفسه ٢٢٦.

المختار الثقافي في مدرسة أهل البيت



يبدو أنه قد وصلت آثار تلك الهجمات والحملات إلى الداخل الشيعي في زمان الأئمة (عليه السلام). وكان هذا أمرًا طبيعيًا فإن التداخل الموجود في المجتمعات كان إلى حد وجود مختلفين في المذهب في أسرة واحدة فضلًا عن القبيلة ولا سيما في الكوفة، وقد أشرنا في مواضع أخرى^(١) إلى هذا المعنى، فكانت تلك الكلمات المضادة للمختار تتموج باعتبار أن السلطة الرسمية سواء كانت زيرية أو أموية تنشر هذه الكلمات، فقد نقلوا كذبا عن ابن عباس ذم المختار والحال أنه كان يمدحه، ونقلوا عن ابن الحنفية ذلك وهو غير صحيح، بل إن بعضهم ذكر أن «أهل البيت» هكذا وبهذا العنوان العريض قد ذموه! ولم يكن ذلك صحيحًا!

(١) مثالها أولاد منقذ العبد (وهو من أولياء أمير المؤمنين (عليه السلام)) ففيهم مارية وهي التي كان يجتمع الشيعة عندها في البصرة، ومن عندها انطلق العبيدون الذين ناصروا الحسين (عليه السلام) واستشهدوا معه، وفيهم أخوها ميرة المجرم قاتل الشهيد علي الأكبر، ورضي (أو رجاء) الأثم الذي قيل إنه كان ممن رضى جسد الإمام الحسين بالخيول! وأبناء سعد بن نفيّل الأزدي، ففيهم عمرو بن سعد قاتل الشهيد القاسم بن الحسن السبط، وفيهم القائد المهم للتوايين الذي يقع في المرتبة الثالثة بعد سليمان والمسيب، وهو عبد الله بن سعد.. والأمثلة كثيرة.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة الفقيه ابن نما الحلبي في كتابه ذوب النضار، فقال «وإنما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه من قلوب الشيعة، كما عمل أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) له مساوئ، وهلك بها كثير ممن حاد عن محبته، وحاد عن طاعته. فالولي له (عليه السلام) لم تغيره الأوهام، بل كشف له عن فضله المكنون، وعلمه المصون، فعمل في قضية المختار ما عمل مع أبي الأئمة الأطهار.^(١)

ونفس الطريق سلك المرجع الديني السيد الروحاني بقوله «ولقد أبلى بلاءً حسنًا في الأخذ بثأر سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، وانتقم من قتلته وأعدائه خير انتقام؛ ولذا أكثر أعداء أهل البيت (عليهم السلام) من ذمه، ووضعوا لأجل ذلك العديد من الروايات على لسان الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، سعيًا منهم في تشويه صورته وتوهين شخصيته، ولكن الله تعالى قد خيب سعيهم ورد كيدهم، فأعلى شأنه وأظهر فضله.^(٢)

ومن الروايات التي يظهر فيها شدة النقاش وكثرة الدعاية ضده وكيف أنها وصلت إلى داخل الدائرة الشيعية، وظلت مثار نقاش حتى بعد مرور ما يقرب من أربعين سنة ما رواه الكشي في رجاله بسند معتبر عن عبد الله بن شريك العامري قال: «دخلنا علي أبي جعفر (عليه السلام) يوم النحر وهو متكئ، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال من أنت؟ قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعدًا من

(١) ابن نما الحلبي: ذوب النضار ص ١٤٦. وقد نقل ابن داود الحلبي نفس الفكرة عن الكشي فقال كما في رجال ابن داود ص ٢٧٧: «وما روي فيه مما ينافي ذلك قال الكشي نسبته إلى وضع العامة أشبه».

(٢) الروحاني؛ السيد محمد صادق: قربان الشهادة ص ٧٠.



أبي جعفر (عليه السلام) فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده. ثم قال أصلحك الله ان الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك قال: وأي شيء يقولون؟ قال: يقولون كذاب، ولا تأمرني بشيء الا قبلته.

فقال: سبحان الله! أخبرني أبي والله ان مهر أُمي كان مما بعث به المختار، أولم يبن دورنا؟ وقتل قاتلنا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله. وأخبرني والله أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدا الفراش، ويشئ لها الوسائد ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد الا طلبه، قتل قتلنا، وطلب بدمائنا»^(١).

وفي هذا من المدح والثناء على المختار ما فيه الغاية، فقد أشار إلى صلته بأهل البيت قبل نهضته بثأر الحسين من خلال تقديمه العطايا والهبات^(٢)، وأنه كانت علاقته ببني هاشم وانقطاعه إليهم^(٣) إلى حد أنه أخذ العلم من فاطمة بنت علي أمير المؤمنين، وأنه كان متداخلاً معهم عائلياً. ثم الترحم عليه مراراً^(٤) من الإمام السجاد والباقر وتعليل ذلك بأنه

(١) الشيخ الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/٣٤٠ - محمد بن الحسن، وعثمان بن حامد، قالوا: حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن الحسين، عن موسى بن يسار، عن عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن شريك..

(٢) وإن كان أمر مهر أم الباقر وهي فاطمة بنت الحسن (عليه السلام)، وأنه كان من المختار مجهولاً لنا، حيث أن المفروض كونه في أيام الإمام الحسين (عليه السلام)، أي في حوالي سنة ٥٤ هـ أو ٥٥ هـ.

(٣) مر فيما سبق النص على انقطاعه إلى بني هاشم، ومصادر ذلك حتى من طرق مدرسة الخلفاء.

(٤) ابن نما الحلبي: ذوب النصار ص ١٤٦ ودعاء زين العابدين (عليه السلام) للمختار رحمه الله دليل واضح، وبرهان لائح على أنه عنده من المصطفين الأخيار، ولو كان على غير=

ما ترك حقاً لأهل البيت عند أحد إلا طلبه، وأنه قتل قتلهم وطلب بدمائهم، كل ذلك فيه تصريح بسلامة موقفه وكونه على المنهاج الصحيح. فهل يعقل أن يترحم الباقر (عليه السلام) على شخص يدعي النبوة كما افتري عليه من افتري؟ أو يذكر خصائصه واتصاله بأهل البيت إلى الدرجة التي أشرنا لها، ومع ذلك يصفه بعض مخالفيه بأنه ناصبي؟ أو خارجي؟ أو حتى كافر.. كما تقدم ذكره عن بعض أعلام مدرسة الخلفاء؟

وهكذا الرواية الثانية المعتبرة أيضاً التي رواها سدير الصيرفي عن الإمام الباقر (عليه السلام)، وهي تشير إلى مرحلة أسوأ عند بعض الشيعة أو العامة وهي أنهم ربما سبوا المختار وذمّوه فقال لهم الإمام (عليه السلام): «لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلنا، وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة»^(١).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) بسند حسن: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين (عليه السلام)»^(٢).

= الطريقة المشكورة، ويعلم أنه مخالف له في اعتقاده، لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب، ويقول فيه قولاً لا يستطاب، وكان دعاؤه (عليه السلام) له عبثاً، والإمام (عليه السلام) منزه عن ذلك.

(١) الشيخ الطوسي: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ٣٨٠/١ وقد رواها الكشي بسنده عن حمدويه عن يعقوب عن ابن أبي عمير وهم ثقات عن هشام بن المشنى وهو وإن لم يوثق توثيقاً خاصاً إلا أنه ممن روى عنه المشايخ الثقات، عن سدير والد حنان وهو ممدوح وممن روى عنه المشايخ الثقات، وقد استحسّن هذا الطريق في الخلاصة وكذا السيد بن طاووس.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤١ رواه الكشي عن إبراهيم بن محمد بن العباس الختلي وهو ممدوح عن أحمد ابن ادریس عن محمد ابن احمد عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن العباس بن عامر عن سيف بن عميرة عن جارود بن المنذر هؤلاء ثقات إماميون.



وربما يلاحظ أن في كتب الرجال روايات يستفاد منها ذم المختار بن أبي عبيدة وهذه إما أن تكون غير نقية السند، وإما أنه يمكن توجيهها ببعض الجهات، فإن من أفضل أصحاب الإمامين الباقر والصادق وهو زرارة لو لم يكن أفضلهم، ومع ذلك قد وردت روايات وبعضها تام السند فيها ذم ظاهري له، وذلك للحفاظ عليه مثلما خرق الخضر السفينة لكي تنجو من الملك الغاصب. وهناك روايات أخرى حتى لو سلمت من المناقشة السندية، فإنه يمكن توجيهها بالنقية حيث أن سلطنة المختار لم تكن شاملة، وكان الإمام السجاد (عليه السلام) يعلم حتى بالمقاييس الطبيعية للحكم على الأشياء فضلاً عن علم الإمامة أن أمر المختار لا يتم، فلم يكن من الصالح إظهار التأييد العلني له، أو بيان علاقته به.

وتفصيل الأمر ما أفاده سيد الطائفة المرحوم الخوئي طاب ثراه فإنه فارس هذا الميدان والمجلي فيه؛ فقد ترجم للمختار بن أبي عبيدة الثقافي، ترجمة رائعة وقد عالج الروايات الواردة فيه مدحاً وذمّاً معالجة النيقد الحاذق، وسوف أخص ما جاء في كتابه معجم رجال الحديث في الجزء ١٩ من صفحة ١٠٢ إلى ١١٠.

١/ الروايات المادحة متضافرة: صرح السيد بأن الروايات الواردة في حقه قسمان؛ مادحة وذامة.. لكن المادحة هي متضافرة. ثم ذكر منها الرواية الصحيحة عن الإمام الصادق: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين» والأخرى عن الإمام الباقر الناهية عن سب المختار «لا تسبوا المختار فإنه قتل، وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة» والثالثة والتي تصف دخول ابن المختار على الإمام الباقر، وفيها

يترحم الإمام مرتين على المختار الثقفي وقد ذكرناها قبل قليل وأشرنا إلى بعض المعاني فيها، والرابعة التي تصف أن المختار كان وهو صغير على فخذ الإمام أمير المؤمنين وهو يخاطب المختار: يا كيس يا كيس، والخامسة عن عمر الأشرف بن السجاد والتي فيها أنه: «لما أتى برأس عبيد الله بن زياد، ورأس عمر بن سعد، قال: فخر ساجدا وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيرا».

٢/ الروايات الدائمة ضعيفة السند جدًا ويمكن توجيهها بالتقية: وفي هذه النقطة صرح السيد الخوئي رحمه الله بأنه: «بالإضافة إلى ضعف إسناد الروايات الدائمة، يمكن حملها على صدورها عن المعصوم تقية» (وفي موضع آخر قال: وهذه الروايات ضعيفة الاسناد جدًا، على أن الثانية منهما فيها تهافت. وتناقض. ولو صحت فهي لا تزيد على الروايات الدائمة الواردة في حق زارة. ومحمد بن مسلم، وبريد وأضرابهم.^(١)

ولتفصيل بحثه الرجالي في كل رواية يمكن مراجعة معجم رجال الحديث.

٣/ إنّه يكفي في حسن حال المختار إدخاله السرور في قلوب أهل البيت سلام الله عليهم بقتله قتلة الحسين (عليه السلام)، وهذه خدمة عظيمة لأهل البيت (عليهم السلام) يستحق بها الجزاء من قبلهم، أفهل يحتمل أن رسول الله (ﷺ) وأهل البيت (عليهم السلام) يغضون النظر عن ذلك، وهم معدن الكرم والاحسان، وهذا محمد بن الحنفية بين ما هو جالس في نفر من الشيعة

(١) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث ١٩ / ١٠٥.



وهو يعتب على المختار في تأخير قتله عمر بن سعد فما تم كلامه، إلا والرأسان عنده فخر ساجدا، وبسط كفيه وقال: اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار، أجزه عن أهل بيت نبيك محمد خير الجزاء»^(١) ورأى أن في بعضها تحريفاً كالرواية التي ذكر فيها أن المختار كان يكذب على الحسين بقوله «إن المختار بن أبي عبيدة كان في الكوفة، والحسين بن علي (عليه السلام) كان بالمدينة، ولم ينقل ولا يخبر ضعيف كذب من المختار بالنسبة إلى الحسين (عليه السلام) وغير بعيد أن المختار الذي كان يكذب على الحسين (عليه السلام) أن يكون رجلا آخر غير المختار بن أبي عبيدة»^(٢).

٤/ بل استظهر السيد أن نهضة المختار كانت بإذن من الإمام السجاد (عليه السلام) فقال: «ويظهر من بعض الروايات أن هذا كان بإذن خاص من السجاد (عليه السلام). وقد ذكر جعفر بن محمد بن نما في كتابه أنه اجتمع جماعة قالوا لعبد الرحمان بن شريح: إن المختار يريد الخروج بنا للأخذ بالثأر، وقد بايعناه ولا نعلم أرسله إلينا محمد بن الحنفية، أم لا، فانهضوا بنا إليه نخبره بما قدم به علينا، فإن رخص لنا اتباعناه وإن نهانا تركناه، فخرجوا وجاءوا إلى ابن الحنفية (إلى أن قال) فلما سمع (ابن الحنفية) كلامه (عبد الرحمان بن شريح) وكلام غيره وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وقال: أما ما ذكرت مما خصنا الله فإن الفضل لله يعطيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأما مصيبتنا بالحسين فذلك في الذكر الحكيم، وأما الطلب بدمائنا قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين، فلما دخل ودخلوا عليه، أخبر خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال: يا عم! لو أن عبدا زنجيا تعصب لنا أهل البيت

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث ١٩/١٠٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٥.

لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الامر فاصنع ما شئت،
فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون أذن لنا زين العابدين (عليه السلام)
ومحمد بن الحنفية^(١).

(١) المصدر نفسه ص ١٠٩.

كلمة شكر



أقدم الشكر الجزيل للأخوات الفاضلات؛

ليلى الشافعي،

وفاطمة الخويلدي، و أم عبد الله

و أم سيد رضا و فاطمة عيسى،

وأقول لهن شكر الله سعيكن

وجزاكن الله خيرا.

المصادر



- الأخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري، ت عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.
- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ت مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، ت علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان
- الإشاعة لأشراط الساعة، محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، حسين محمد علي شكري، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة السعودية ١٤٢٦ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،



- عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين الخُسرَوُجَردي، أبو بكر البيهقي، ت أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٤٠١ هـ.
- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٢ م.
- أمراء المدينة المنورة، عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع.
- أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ بتحقيق سهيل زكار. دار الفكر - بيروت ١٤١٧ هـ.
- أنصار الحسين، للشيخ محمد مهدي شمس الدين، دار الكتاب الإسلامي - ١٤٢٦ هـ.
- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ت د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٨ هـ.
- بلاغات النساء: أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣ هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت سعد يوسف محمود وآخرين، المكتبة التوفيقية - القاهرة ١٤٢٧ هـ.

- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري، ت د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت ١٣٩٧ هـ.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٣٨٧ هـ.
- تاريخ المدينة، لعمر بن شبة النميري البصري، (ت ٢٦٢ هـ) تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع في جدة ١٣٩٩ هـ.
- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، ت عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ.
- تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (اليعقوبي) (ت ٢٨٤ هـ)، دار صادر - بيروت.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي مسكويه الرازي (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ٢٠٠٠ م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ.
- تحفة الوزراء، المنسوب إلى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ت حبيب علي الراوي ود. ابتسام الصفار، الدار العربية للموسوعات ١٤٢٧ هـ.
- التنبيه والإشراف: علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) ت عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة.



- تنقيح المقال في علم الرجال، الشيخ عبد الله المامقاني، ت الشيخ محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث ١٤٣١ هـ.
- جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، ت د. علي جمعة .
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- جوامع السيرة، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، إحسان عباس، دار المعارف - مصر.
- جواهر التاريخ؛ اضطهاد العترة بعد النبي، علي الكوراني العاملي، دار الهدى قم ١٤٢٥ هـ.
- حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، باقر شريف القرشي، مدرسة الإيرواني العلمية، قم ١٤١٣ هـ.
- الحيوان، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- الخراج، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ت طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث.
- خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، د. علي محمد محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ١٤٢٧ هـ.
- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤٢٩ هـ.

- ذوب النصار في شرح الثار، الشيخ جعفر بن محمد الحلبي (ابن نما)، ت فارس حسون كريم، مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٤١٦ هـ.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جاز الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٢ هـ.
- رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، ت عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٤ هـ.
- رجال الطوسي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، ت جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٤١٥ هـ.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١ هـ): ت: عادل عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث- بيروت.
- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٧ هـ.
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء؛ سيرة النبي وخلفائه من كتاب «الثقات» للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، ت عزيز بك، الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧ هـ.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت مصطفى السقا وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٥ هـ.



- شرح المقاصد، مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني، ت د. عبد الرحمن عميرة.
- شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني، ت د أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
- شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٨ هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق ١٤١٤ هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٣٧٤ هـ.
- الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ) ت. د علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٢١ هـ.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن بن خلدون، ت خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ.
- عصر الاتساق: تاريخ الأمة العربية، محمد أسعد طلس، مؤسسة هنداوي لندن

<https://www.hindawi.org/books/61827135/1.1.4/#fn.9>

- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ.

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، ت محب الدين الخطيب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية ١٤١٩ هـ.
- عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨ هـ.
- الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣ هـ) ت جلال الدين المحدث.
- كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ) ت على شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- قاموس الرجال، للشيخ محمد تقي التستري (قدس سره)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ.
- قربان الشهادة، السيد محمد صادق الروحاني، مكتبة آل البيت بدون تاريخ دار نشر.
- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ.
- كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيك الدواداري، الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي، دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ.



- المحبّر، لمحمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، ت د إيلزه ليحتن شتيتّر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٦١ هـ.
- المحن، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، ت د عمر سليمان العقيلي، دار العلوم - الرياض - السعودية ١٤٠٤ هـ.
- المحبّر: محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٦١ هـ.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الافريقي (ت ٧١١ هـ) ت روحية النحاس، وآخرين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق ١٤٠٢ هـ.
- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن أيوب، المطبعة الحسينية المصرية.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت عادل مرشد وآخرين، دار الرسالة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ت شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ.
- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٣ هـ.
- المصنف، عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر، الرياض - السعودية ١٤٣٦ هـ.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت يوسف أسعد داغر، منشورات دار الهجرة، قم إيران - ١٤٠٤ هـ.

- المعاني الكبير في أبيات المعاني، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت د سالم الكرنكوي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٦٨ هـ.
- معجم البلدان، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٣٩٩ هـ.
- معجم رجال الحديث، لأبي القاسم بن علي أكبر الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- المغازي، الواقدي (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: الدكتور مارسدن جونس، الناشر: نشر دانس إسلامي رمضان ١٤٠٥ هـ.
- من هم قتلة الحسين (عليه السلام)؟ شيعة الكوفة؟ السيد علي الحسيني الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية، قم ١٤٢٩ هـ.
- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٤٠٦ هـ.
- موسوعة الأردوبادي؛ سبيك النصار؛ شرح حال شيخ الثار، العلامة محمد علي الأردوبادي، ت السيد مهدي ال مجدّد الشيرازي، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء.
- الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن بن حسين التُّوربُشْتِي، ت د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٩ هـ.
- نهج البلاغة؛ خطب أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، محمد الرضي بن الحسن الموسوي، ت د. صبحي الصالح، بيروت ١٣٨٧ هـ.



- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله؛ أبو الحسن السمهودي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٩ هـ.
- وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ) ت عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ١٣٨٢ هـ.

فهرس المحتويات



مقدمة	٥
أثر النهضة الحسينية في الأمة	٩
حركة عبد الله بن الزبير بن العوام	٢٢
موقف مدرسة الخلفاء من حركة ابن الزبير	٣٠
موقف مدرسة أهل البيت من الحركة الزبيرية	٣٨
عبد الله بن الزبير كشخص:	٣٨
سوء إدارته السياسية للمعركة:	٤٧
ومن سوء إدارته للبلاد:	٤٩
أزمة الشخص أو أزمة النظرية؟	٥١
وقد نتج عما سبق من النظرية الباطلة:	٥٦
حركة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة	٦٠
ماذا قالوا عن واقعة الحرة:	٧٠
ملاحظات حول الواقعة:	٧٤
التوابون بقيادة سليمان بن صرد	٩٨
سجن رؤوس الشيعة في الكوفة:	١٠١

- ١٠٧ بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام)
- ١١٠ العلاقة بين الزبيريين في الكوفة والتوايين:
- ١١٨ نبداً بقتال قتلة الحسين في الكوفة أو في الشام؟
- ١٢٠ هل كان المختار يخذل الناس عن سليمان؟
- ١٢٣ من الكوفة إلى قبر الإمام الحسين، ثم معركة عين الوردية:
- ١٣٣ هل حضر معركة الجمل؟
- ١٣٥ ملاحظات على الروايات:
- ١٤١ حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي
- ١٥١ صفاته وميزاته:
- ١٥٣ المختار في الكوفة من جديد
- ١٦٣ ماذا قالت مدرسة الخلفاء عن المختار؟
- ١٦٨ حديث الكذاب والمبير في ثقيف
- ١٧١ المختار الثقفي في مدرسة أهل البيت
- ١٧٩ كلمة شكر
- ١٨٠ المصادر

[illegible]

ISBN: 978-614-517-036-5



9 786145 170365

info@daralmahaja.com
www.daralmahaja.com

